الطريق إلى الاستقامة

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

رقم الإيداع: ١٦٨، ٢٠١٦م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

قال ﷻ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (١)

(١) [فصلت:٣٠-٣٢]

المقـدمـة

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[2] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[3] وبعد: فإن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أما بعد: –

فنظراً لحاجتنا الماسة لمعرفة طريق الاستقامة الذي التبس على كثير من الناس في هذا الزمان، رأيت أن أكتب مستعيناً بالله في هذا الموضوع ما يكشف معالمه، ويرسم حدوده، ويمهد الطريق الموصلة إليه على نورِ الكتاب والسنة، وما تعلّمناه ممن سبقنا من أهل الصلاح والرّشاد، بألطف إشارة، وأسهل عبارة، بعيداً عن التكلف والتعقيد، ليسهل على الجميع فهمه والاستفادة منه، فكان هذا الكتاب: (الطريق إلى الاستقامة) الذي تناول موضوع الاستقامة في ثلاثة مباحث:

١() (١٠٢) آل عمران

٢() (٧٠) الأحزاب

٣() النساء (١)

- المبحث الأول: قصة الاستقامة بشكلٍ عام
- المبحث الثاني: الاستقامة خطوة خطوة
- المبحث الثالث: الدعوة إلى الله خطوة خطوة
- ثم ختمت الكتاب بوصايا جامعة نافعة بإذن الله ﷻ.

ولا أنسى هنا أن أشير إلى أن الكتاب لم يستوعب كل شيء في موضوع الاستقامة، إنما هو منارات يهتدي بها السائرون إلى الله ﷻ، ومعالم ينتفع منها الحريصون على هداية أنفسهم والآخرين، متمنياً من كل قلبي أن يكون مفيداً لهم، وأن يجدوا فيه ما يلبي طلباتهم، ويجيب على تساؤلاتهم المتعلقة بطريق الهداية والاستقامة، راجياً من الله ﷻ أن يتقبله بقبول حسن، وأن ينفع به، طالباً من إخواني الذين يقع الكتاب في أيديهم إن وجدوا خيراً أن يدعوا لي بالمغفرة والرحمة، وإن وجدوا غير ذلك أن لا يبخلوا بالنصيحة والتسديد، فالتواصي بالحق لازم، والدين النصيحة، وسأكون بإذن الله حريصاً على الحق ما حييت، متبعاً له ما تبين لي، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

راجي رحمة الرحمن

العبد الفقير إلى الله حسان

من سلك طريق الاستقامة
وهب الله له السلامة
وأدام له الكرامة
وأبعده عن الخزي والندامة
في الدنيا ويوم القيامة

تمـهيد عن الاستقامة

من آيات القرآن الكريم

الأمر بالاستقامة:

قال تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[١]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٣]

ما هو الصراط المستقيم:

قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾[٤]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ ﴾[٥]

وقال تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

---

[١] هود – الآية ١١٢

[٢] فصلت – الآية ٦

[٣] الأنعام – الآية ١٥٣

[٤] الأنعام – الآية ١٢٦

[٥] الأنعام – الآية ١٦١

وَلَا الضَّالِّينَ ﴾[1]

كيف نهتدي إلى الصراط المستقيم

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[4] وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[6] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[7] وقال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[8]

---

[1] () الفاتحة – الآية ٦ ـ ٧

[2] () آل عمران – الآية ٥١

[3] () آل عمران – الآية ١٠١

[4] () النساء – الآية ١٧٥

[5] () المائدة – الآية ١٥ـ ١٦

[6] () الحج – الآية ٥٤

[7] () الشورى – الآية ٥٢ـ ٥٣

[8] () الزخرف – الآية ٤٣

لا يستوي من يسير على الصراط المستقيم وغيره

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] وقال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾[2]

ثمرة الاستقامة في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾[3]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[5]

---

[1] () الملك – الآية ٢٢

[2] () طه – الآية ١٣٥

[3] () الجن – الآية ١٦

[4] () الأحقاف – الآية ١٣

[5] () فصلت – الآية ٣٠

من أحاديث السنة المطهرة

- عَن سُفْيَان بن عبد الله الثَّقَفِيّ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ وَفِي رِوَايَةٍ: غَيْرَكَ قَالَ: "قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثمَّ اسْتَقِم". [١]
- وعن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «استقم وليحسن خلقك للناس» [٢].
- وعَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ» [٣] وفي رواية: أنه قال: «استقيموا ونعما إن استقمتم وخير أعمالكم الصلاة ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» [٤]
- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "سددوا وقاربوا، واعلموا أنه لن يُدْخِلَ أحدكُم عملُهُ الجنةَ، وإن أحبَّ الأعمال إلى الله أدْوَمُها وإن قلَّ" [٥]
- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ» [٦] وفي رواية: «يا أيها الناس: إنكم لن تطيقوا كل ما أمرتكم به ولكن سددوا وقاربوا

---

[١] () رَوَاهُ مُسلم

[٢] () (حسن) . . . [طب ك هب]. الصحيحة ١٢٢٧.

[٣] () (صحيح) رَوَاهُ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ وَالدَّارِمِيُّ.

[٤] () (صحيح) . . . [هـ] عن أبي أمامة [طب] عن عبادة بن الصامت. الروض ١٧٧.

[٥] () أخرجه البخاري ومسلم.

[٦] () رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

وأبشروا»[1].

- وعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سمعان الْكِلاَبِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ اللهَ ضَرَبَ مَثَلاً صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، عَلَى كَنَفَيِ الصِّرَاطِ دَارَانِ لَهُمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، عَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ، وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ، وَدَاعٍ يَدْعُو فَوْقَهُ، ﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وَالأَبْوَابُ التِي عَلَى كَنَفَيِ الصِّرَاطِ حُدُودُ اللهِ، فَلاَ يَقَعُ أَحَدٌ فِي حُدُودِ اللهِ حَتَّى يُكْشَفَ السِّتْرُ، وَالَّذِي يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ وَاعِظُ رَبِّهِ)). وفي رواية: ((ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلاَ تَتَفَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ أحد أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لاَ تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الإِسْلاَمُ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللهِ، تَعَالَى، وَالأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ، تَعَالَى، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ))[2].
- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «خط المصطفى ﷺ خطّاً مستقيماً فقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه» ثم تلا قول الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[3] ـــ[4]

---

[1] (حسن) [حم د] عن الحكم بن حزن. صحيح أبي داود ١٠٠٦.

[2] (صحيح) أخرجه أحمد والحاكم وغيرهما عن النواس. انظر المشكاة ١٩١

[3] (الأنعام:١٥٣)

[4] أخرجه أحمد، والنسائي، والدارمي، والحاكم، وابن حبان .

ما هي الاستقامة

الاستقامة في اللغة:

ضد الاعوجاج والانحراف فالشَّيء المستقيم هو المعتدل الذي لا اعوجاج فيه.[١]

الاستقامة في الشرع:

[سُئِلَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ ﷺ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ فَقَالَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: الِاسْتِقَامَةُ أَنْ تَسْتَقِيمَ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَلَا تَرُوغَ رَوَغَانَ الثَّعْلَبِ، وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ﷺ: (استقاموا) أَخْلَصُوا الْعَمَلَ لِلَّهِ، وَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: (استقاموا) أَدَّوُا الْفَرَائِضَ، وَقَالَ الْحَسَنُ رحمه الله: اسْتَقَامُوا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ وَاجْتَنَبُوا مَعْصِيَتَهُ][٢]، وقال قتادة رحمه الله: الاستقامة أن تلبث على الإسلام والطريقة الصالحة ثم لا تمرق منها ولا تخالفها ولا تشذ عن السنة ولا تخرج عنها[٣]، وقال المحاسبي رحمه الله: أصل الاستقامة في ثلاث: (إتباع الكتاب والسنة ولزوم الجماعة)[٤]، وقيل: "هي مرور العبد في طريق العبودية بإرشاد الشرع والعقل".[٥]

والخلاصة أن الاستقامة تعني: –

---

[١] () التعريفات للجرجاني

[٢] انظر تفسير: (البغوي والخزان والزحيلي وغيرها عند تفسير آية الاستقامة)

[٣] انظر الإبانة الكبرى

[٤] انظر رسالة المسترشدين

[٥] انظر التعريفات للجرجاني

[السير على هدى الله ﷻ الذي جاء به رسول الله ﷺ في كل شئون الحياة من اليقظة إلى المنام ومن وقت التكليف حتى الممات] .

حقيقة الاستقامة

الاستقامة تتضمن في الشرع أمرين:[١]

الأول: السير على الطريق المستقيم: قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[٢] والمعنى اتقوه حق التقوى بحسب الاستطاعة، كما قال ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٣]

الثاني: الثبات على ذلك والاستمرار فيه حتى الممات: قال الله ﷻ: ﴿وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٤] وهذا يتضمن الأمر بالدوام والاستمرار والمعنى: استقيموا واثبتوا على التقوى حتى يأتيكم الموت، كما في الحديث الصحيح قال ﷺ: ((فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّارِ ويدخل الْجَنَّةَ فلتأته منيته وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ))[٥]

---

[١] () انظر فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب / محمد نصر الدين محمد عويضة

[٢] () [آل عمران:١٠٢]

[٣] () التغابن (١٦)

[٤] () [آل عمران:١٠٢]

[٥] () رواه مسلم وغيره

ما تتحقق به الاستقامة

تتحقق الاستقامة بأمور:[1]

الأمر الأول: أداء الفرائض والواجبات التي فرضها الله ﷻ على عباده كالتوحيد وبقية أركان الإسلام، وأركان الإيمان، ومكارم الأخلاق كالصدق والأمانة والوفاء والشجاعة والكرم، والبر والصلة والإحسان، وحسن العشرة، وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله وغير ذلك من الفرائض والواجبات.

الأمر الثاني: أداء النَّوافل لأَنَّ الْمُحَافَظَة عَلى النَّوافل مِنْ كمال الاستقامة فهي تكمل أجر الفريضة لمن قَصَّرَ في أدائها كما يجب وأما من أحسن فزيادة خير وبركة.

الأمر الثالث: اجتناب المحرمات كالشرك والنفاق والقتل والفواحش ومساوئ الأخلاق وغير ذلك من المحرمات بما فيها الشبهات لقوله ﷺ: ((وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ))[2]

الأمر الرابع: ترك المكروهات وفضول المباحات لأن هذا أيضا من كمال الاستقامة.[3]

---

[1] () انظر: المرجع السابق: "فصل الخطاب"

[2] () رواه البخاري ومسلم

[3] () (انتهى الاقتباس من الكتاب المذكور)

مما يعين على الاستقامة

- الدعاء أي طلب الهداية من الله تعالى، ثم طلب الثبات على الاستقامة حتى الممات، قال ﷻ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] وقال ﷻ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾[2] وفي الحديث القدسي يقول الله ﷻ: ((يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم))[3]
- بذل الجهد في الهداية، والحرص على الاستقامة، فإنه من جد وجد، ولكل مجتهد نصيب، قال تعالى: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾[4] وقال ﷻ: ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾[5] وقال ﷻ: ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾[6]
- مجالسة الصالحين لأن المرء على دين خليله، قال ﷻ: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾[7] وقال ﷻ: ﴿ واتبع سبيل من أناب إلي ﴾[8] وفي الحديث يقول النبي ﷺ: ((إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة))[9]

---

[1] () (٨٣) النساء
[2] () (٢١) النور
[3] () رواه مسلم
[4] () (٦٩) العنكبوت
[5] () (١٧) محمد
[6] () (١١) التغابن
[7] () (٢٨) الكهف
[8] () لقمان (١٥)
[9] () متفق عليه

ثمرة الاستقامة

أما في هذه الدنيا:

فقد ذكرَ الله ﷻ أنها أعني: (الاستقامة) سبيل السعادة الروحية، والطمأنينة القلبية، والراحة النفسية، في هذه الحياة قال الله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[1]

وأما في الآخرة:

فإن الله قد أثنى على أهل الاستقامة، وَوَعَدَهُم بالجنة التي هي منتهى آمال المؤمنين لأنها محلّ رضوان ربّ العالمين قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا ربنا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وأبشروا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[2]

---

[1] () [النحل – الآية ٩٧]

[2] () [فصلت:٣٠-٣٢]

المبحث الأول:
قصة الهداية والاستقامة

أصل البشرية

عندما أهبط الله تعالى آدم مع حواء عليهما السلام، من الجنة إلى الأرض، كانا على الدين الصحيح والطريقة القويمة، وهكذا كان أولادهما من بعدهما، حتى تأثر من تأثر بعد ذلك، بوسوسة الشيطان وإغوائه فانحرف، فاحتاج الناس حينها إلى من يردهم، فبعث الله النبيين والمرسلين قال ﷻ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ الناس فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[1] ومعنى الآية كما قال المفسرون: كان الناس أمة واحدة، أي على دين واحد وهو الإسلام، فبعث الله النبيين، أي بعد انحراف الناس ليردوهم إلى الصراط المستقيم.

المواليد على الفطرة

معلوم عندنا أن كل إنسان يولد على الفطرة قال ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يعلمون﴾[2] وفي الحديث القدسي يقول الله ﷻ: ((وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرَّمَت عليهم ما أحللتُ لهم وأَمَرَتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا))[3] وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة

---

[1] () البقرة (٢١٣)

[2] () الروم (٣٠)

[3] () رواه مسلم

فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) فهذه أدلة صريحة ثابتة من كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ تقرر بما لا يدع مجالاً للشك أن كل مولود يولد على الفطرة، والتي عرّفها السلف الصالح رضي الله عنهم بثلاثة معان تقريباً وهي: [1]

- الأول: أن الفطرة الإسلام.
- الثاني: أن الفطرة الخلق والإعداد على ما يعلمه الله من نهاية لعبده.
- الثالث: أن الفطرة التهيئة والاستعداد لقبول الحق.

والذي نميل إليه في هذا من خلال الأدلة التي استدل بها كل فريق أن الفطرة هي:

[معرفة الله وتوحيده، والاستعداد لقبول أمره ونهيه، ومحبة الخير وكراهية الشر]

ومعرفة الله هنا لا تتعارض مع قول الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [2] لأن المعنى سيكون هكذا: (لا تعلمون شيئا سوى الله جل في علاه) لأن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [3]

- فأما معرفة الله وتوحيده فقد أخذ ﷻ على كل واحد منا عهداً ونحن في صلب أبينا آدم عليه السلام قال ﷻ مشيرا إلى ذلك: ﴿إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عن هَذَا غَافِلِينَ﴾ [4].

- وأما الاستعداد لقبول الأمر والنهي ومحبة الخير والميل إليه وكراهية الشر والنفور عنه فيمكن تأييده بقول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ

---

[1] (انظر في ذلك فتح الباري لابن حجر وشرح صحيح مسلم للنووي)

[2] النحل (٧٨)

[3] الشورى (١١)

[4] الأعراف (١٧٢)

زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾[2] فعلم أن الإنسان يولد مزوداً بالعقل والسمع والبصر، بالإضافة إلى ميزان الفطرة، وهذا ما يمكنه من القيام بمهمته على الوجه الصحيح، لكنه ينحرف نتيجة أمور تؤثر عليه، نذكرها بأدلتها في أسباب الانحراف في السطور التالية إن شاء الله تعالى

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . .

[1] () الشمس (٧-١٠)

[2] () البلد (٨-١٠)

أسباب الانحراف

علمنا مما سبق أن الإنسان يولد على الفطرة، التي تمكنه من السير على الطريق الصحيح، الذي يوصل إلى رضوان الله تعالى في الدنيا والآخرة، فما الذي يجعل الإنسان يترك الفطرة، وينسلخ منها، ويتنكر لها ؟ الذي يجعله ينحرف هو: الشيطان الرجيم، وسوء تربية الوالدين، والبيئة السيئة من حوله يساعد على ذلك الهوى المركب في النفس وهذا ما سنتناوله بشيء من التفصيل فيما يلي:

- **أما الشيطان:**

فهو العدو الأول لبني آدم وهو يحاول جاهداً أن يحرف الإنسان عن فطرته، مستخدماً كل الوسائل، سالكاً كل السبل، وهذا هو معنى قول الله في الحديث القدسي: ((فاجتالتهم الشياطين)) لذا قرر الله تعالى عداوة الشيطان للإنسان فقال ﷻ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[1] وأخبرنا الله ﷻ عن وسائل الشيطان وأساليبه فقال حاكياً عنه: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[2] وقال ﷻ عنه أيضا: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ

---

[1] () يس (٦٠-٦٢)

[2] () الأعراف (١٦-١٧)

وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾[1] وبين لنا الله ﷻ أن الشيطان يأمرنا بالسوء والفحشاء فقال تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] وحذرنا ربنا ﷻ وأخبرنا أن هدف الشيطان الذي يصبو إليه أن يدخل أتباعه النار ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[3]

• وأما سوء التنشئة في الأسرة:

فقد قص علينا الله ﷻ في القرآن الكريم قصص الأمم مع الأنبياء والرسل ودعاة الحق والخير وكيف أنهم كانوا يحتجون بانحراف آباءهم وأجدادهم فقال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[4] بل كانوا يستغربون ما يجيء به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من الحق والخير محتجين بأنه لم يكن في آبائهم قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ولو شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾[5] وفي الحديث الذي تقدم: ((فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) سواءً

---

[1] () النساء (١١٨-١١٩)

[2] () البقرة (١٦٨-١٦٩)

[3] () فاطر (٦)

[4] () المائدة (١٠٤)

[5] () المؤمنون (٢٤)

لكونهما يهوديان أو نصرانيان أو مجوسيان أو لأنهما يهملان طفلهما فيتأثر باليهود أو النصارى أو المجوس.

• وأما البيئة الاجتماعية السيئة وجلساء السوء:

فلا شك يؤثرون في الشخص تأثيراً كبيراً حتى ينحرف عن الهدى والنور وهذا ما أثبته القرآن الكريم قال ﷻ مبيناً ما سيجري من حوار بين أهل النار: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بعضهم إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كنتم مجرمين وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أعناق الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] وقال ﷻ عن تابعين تأثروا بساداتهم وكبرائهم: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[2] وقال ﷻ عن صديق يندم يوم القيامة لأنه انحرف بسبب صديقه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾[3]

---

[1] () سبأ (٣٢-٣٣)

[2] () الأحزاب (٦٧-٦٨)

[3] () الفرقان (٢٧-٢٩)

- **وأما الهوى في النفس:**

فيتأثر بإغواءات الشياطين: (الجن والإنس) وتأثيرات البيئة لذلك نهى الله عز وجل عن اتباع الهوى فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[1] وامتدح الله من نهى نفسه عن هواها فقال عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[2] .

[1] () ص (٢٦)

[2] () النازعات (٤٠-٤١)

أنواع ودرجات الانحراف

يمكن تقسيم الانحراف على ثلاثة أقسام ذكرت في القرآن الكريم وهي:

١) الكفر
٢) الفسوق
٣) العصيان

قال الله ﷻ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[١]

قال العلماء: الكفر: ظاهر، والفسوق: هو الكبيرة، والعِصْيَانُ: هو الصغيرة. فالكفر أشدُّها، والفسوق دونه، والعصيان أخفّ .

وقال المظهري في تفسيره: الظاهر من سياق الآية أن الفسوق أخف من الكفر وأقبح من العصيان.

[١] الحجرات – الآية ٧

أولاً: الانحراف الكلي ((الكفر والشرك الأكبر والنفاق العقدي))

- فهذا يخرج الإنسان من الملة وصاحبه لا يقبل منه العمل الصالح لأنه لم يدخل ضمن سجل المؤمنين فكيف تحسب أعماله؟ قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[1]
- ومن كان انحرافه من هذا النوع فإن مصيره في الآخرة النار وبئس القرار كائناً من كان فذنوبه لا يغفرها الله ما دام مات عليها قال ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يغفر أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[2]
- وصاحب هذا النوع من الانحراف لا يستحق رحمة الله ﷻ قال ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]
- ولا يمكن دخوله الجنة قال الله تعالى عن الكفار عامة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾[4] وقال ﷻ عن من أشرك مع الله إلاها آخر من أهل الكتاب: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ

---

[1] () النور آية ٣٩

[2] () النساء (١١٦)

[3] () العنكبوت (٢٣)

[4] () الأعراف (٤٠)

النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[1] وقال ﷻ عن المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[2] وقال عز وجل عن كل الكفار: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾[3]

أمور من وقع فيها كان انحرافه كفرا[4]

- إنكار وجود الله تعالى أو صفة من صفاته أو الملائكة أو النبيين والمرسلين أو بعضا منهم أو الجن أو البعث والجزاء أو القضاء والقدر خيره وشره أو إنكار الكتب السماوية ومنها القرآن الكريم فإنكاره أو بعضه ولو كلمة منه كفر وكذلك اعتقاد أنه ناقص أو أنه متناقض أو أنه غير معجز أو أنه لا يصلح لهذا الزمان أو غير ذلك ومثل القرآن الكريم السنة النبوية الصحيحة لأنها وحي كذلك قال ﷻ: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[5] وقال ﷻ: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[6] ومثل الإنكار الشك.
- اعتقاد أن أحدا غير الله يشارك الله ﷻ في ربوبيته "الخلق والرزق والتدبير والضر والنفع والإماتة والإحياء وغيرها" أو اعتقاد أن أحدا يتصف بما لا يمكن نسبته إلا إلى

---

[1] () المائدة (٧٢)

[2] () النساء (١٤٥)

[3] () البينة (٦)

[4] () انظر مراتب الإجماع لابن حزم ونقد مراتب الإجماع لابن تيمية وأحكام الردة في كتب الفقه

[5] () النجم (٣-٤)

[6] () الحشر (٧)

الله تعالى من الصفات.

- صرف شيء من العبادة التي لا تليق إلا بالله ﷻ كالصلاة والذبح والنذر وغيره لأحد من الخلق كائنا من كان ملكا أو نبيا أو وليا أو غيره.
- إنكار ما علم من الدين بالضرورة كإنكار شيء من الفرائض المجمع عليها كالصلاة أو الزكاة أو الصوم أو الحج أو مكارم الأخلاق أو بر الوالدين أو صلة الرحم أو فعل الخير أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو الجهاد وغيرها.
- استباحة ما أجمع المسلمون على تحريمه كالشرك ومنه الحكم بغير ما أنزل الله والقتل بغير حق والزنا والسرقة والسحر ومساوئ الأخلاق والخمر ولحم الخنزير والميتة وشرب الخمر وسائر النواهي ومثله اعتقاد حرمة ما أجمع المسلمون على حله من الطيبات.
- موالاة الكافرين سواء كانوا من المشركين أو الملاحدة أو أهل الكتاب أو غيرهم وذلك بمحبة دينهم أو الشك في كفرهم أو معاونتهم على محاربة الإسلام.
- اعتقاد أن الوحي ينزل عليه أو اعتقاد أن هناك نبي أو رسول بعد محمد ﷺ أو اعتقاد أن أحداً من الأولياء أفضل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو أن أحداً يسعه أن لا يعمل بالشريعة.
- سب الله ﷻ أو أحدا من ملائكته أو رسله عليهم الصلاة والسلام أو قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد برائتها في القرآن الكريم أو لعن وتكفير أو تفسيق من صرح القرآن الكريم أو السنة الصحيحة بإسلامهم ودخولهم الجنة كتكفير الخلفاء الراشدين أو أصحاب بيعة الرضوان ﷺ.
- الاستهزاء بالدين كله أو بعضه ومنه المصحف الشريف أو كتب السنة المطهرة الثابتة أو أي معتقد من معتقدات الإسلام أو شعيرة من شعائره أو حكم من أحكامه في كل

المجالات فمن استهزأ بشيء من ذلك أو أهانه أو احتقره متعمدا أو حتى مازحا فقد وقع في الكفر عياذا بالله.

- السحر بعضه كفر باتفاق العلماء وهو ما كان فيه اعتقاد أو قول أو عمل كفري.

#ملاحظة: ما تقدم من نواقض الدين ومحبطات الأعمال مجمع عليه عند العلماء .

ثانياً: الانحراف الغالب ((الفسوق))

- هذا النوع من الانحراف لا يخرج صاحبه من الملة لكنه يكون مسلما فاسقا مرتكبا كبائر الذنوب التي لا تكفرها الأعمال الصالحة ولا ينفع معها إلا التوبة النصوح على الصحيح من أقوال أهل العلم كما سيأتي معنا .
- صاحب هذا النوع من الانحراف متوعد بالعذاب بقدر ما يعمل ما لم يتب ويرجع إلى الله تعالى قال ﷻ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[1] والآية تدل على أن من لم يجتنب الكبائر لا يكفر الله عنه سيئاته ولا يدخله مدخلا كريما وقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾[2] فتأمل كيف أن الله واسع المغفرة إلا أنه اشترط قبل ذلك اجتناب كبائر الإثم والفواحش وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: ((الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر))[3]
- من ارتكب كبيرة من الكبائر فأقيم عليه الحد فهو كفارة له؛ لأن الحدود كفارات لأهلها، وإذا لم يقم عليه الحد وتاب تاب الله عليه، قال ﷻ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان:٧٠]
- وأما من مات على الكبيرة، ولم يتب منها وهو يعلم فهو متوعد بالعذاب كما مرّ معنا لكنه في النهاية تحت مشيئة الله إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له، ومع ذلك فإنه لا يخلد

---

[1] () النساء (٣١)

[2] () النجم (٣٢)

[3] () رواه مسلم

- في النار قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ﴾[1]

أمور من وقع فيها كان انحرافه فسوقا[2]

قال أهل العلم: كبائر الذنوب كثيرة جدا، لذا يصعب حصرها وعدها، وأما ما ورد من ذكر العدد في بعض الأحاديث، فليس المراد الحصر، إنما المراد التمثيل والله أعلم، لكن يمكن أن نستخلص من كلام أهل العلم من السلف والخلف ما يلي:

- ترك الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو الحج مع القدرة عليه وما شابه تكاسلا وغفلة لأن من أنكرها جاحدا لوجوبها غير مقتنع بها فهو كافر بالإجماع لا خلاف في ذلك مع خلاف شديد في الصلاة فإن من العلماء من يعتبر تاركها تهاونا وتكاسلا كافرا .
- الوقوع في معصية من المعاصي التي توجب حدا كالزنا واللواط وشرب الخمر والسرقة والقتل وما شابه من قذف المحصنات والسحر الذي لا يصل إلى الكفر وغيرها .
- ارتكاب عمل محرم ورتب على الوقوع فيه لعن أو وعيد شديد كشهادة الزور والغش والربا وعقوق الوالدين وقطع الرحم وتشبه الرجال بالنساء والعكس وإتيان الرجل زوجته في دبرها والدياثة والقوادة واليمين الغموس والتولي يوم الزحف وغيرها .
- اتخاذ مساوئ الأخلاق من صفات المنافقين عادة وطبيعة كالكذب في الحديث وخيانة الأمانة وإخلاف الوعد والفجور في الخصومة والغدر عند المعاهدة.
- الوقوع في صغائر الذنوب لكن مع الإصرار عليها واحتقارها والمجاهرة بها .

١() : النساء – الآية ٤٨

2) انظر الكبائر للذهبي والزواجر لابن حجر الهيتمي

ثالثاً: الانحراف الجزئي ((العصيان))

وهذا الانحراف لا يعتبر صاحبه فاسقا بل هو مؤمن عليه ذنوب تكفرها الحسنات ويذهبها الذكر والاستغفار قال ﷻ: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾[1] قال القرطبي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية ذهب جمهور المتأولين من الصحابة والتابعين ﷺ إلى أن: ((الحسنات هاهنا هي الصلوات الخمس وقال بعضهم: بل هو شامل لأنواع الحسنات لكنه خاص بالصغائر من السيئات إجماعا))[2]
قلت ومثل الآية الحديث الذي قال فيه النبي ﷺ: ((اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن))[3] والكلام الفصل في المسألة ما ذكرناه من قبل وهو قول رسول الله ﷺ: ((الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر)) وفي رواية ما لم تغش الكبائر وذكر أعمالا أخرى كالعمرة.

---

[1] () هود (١١٤)
[2] () انظر تفسير القرطبي
[3] () صحيح أخرجه الترمذي وأحمد وغيرهما

أمور من وقع فيها كان انحرافه عصيانا

التحديد في مثل هذا الموضوع صعب جدا لكنني ألخص ما قاله علماء السلف فيما يلي:

- قيل: هي التي لا يسلم من الوقوع فيها أحد إلا من عصمه الله تعالى.
- وقيل: هي الذنوب التي يفعلها الإنسان مرة ثم يتوب منها .
- وقيل هي التي لا توجب حدا وليس على من اقترفها كفارة.
- وعند بعضهم هي الذنوب التي ليس في النهي عنها لعن أو ليس منا أو وعيد وتهديد .
- والذي نميل إليه في هذا أن كل ما ذكر هو الوصف الجامع والمناسب للصغائر والله تعالى أعلم.

ومع ذلك فقد قال كثير من أهل العلم بأن الصغائر تتحول إلى كبائر بواحدة من ثلاث:

١) الإصرار عليها
٢) المجاهرة بها
٣) الاحتقار لها .

مكفرات الذنوب

الذنوب والمعاصي قد يغفرها الله ﷻ لأسباب استخرجها العلماء من الكتاب والسنة، وأغلبها خاصة بالمسلم، أما المشرك والكافر فلا يغفر له ولا ينفعه إلا السبب الأول وهو التوبة، فالتوبة تجب ما قبلها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1] هذه الأسباب هي: ((التوبة النصوح، الاستغفار، الحسنات؛ المصائب الدنيوية، عذاب القبر، دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات، ما يهدى إلى الميت بعد موته، أهوال يوم القيامة وشدائده، شفاعة الشافعين، عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة، . . . فإن كان ممن لم يشأ الله أن يغفر له لعظم جرمه، فلا بد من دخوله إلى النار، ليخلص طيب إيمانه من خبث معاصيه . .))[2]

(فائدة في مسألة تكفير الكبائر بالأعمال)

قال ابن رجب رحمه الله: ((. . . والأظهر –والله أعلم –في هذه المسألة –أعني: مسألة تكفير الكبائر بالأعمال –أنه إن أريد أن الكبائر تمحى بمجرد الإتيان بالفرائض، وتقع الكبائر مكفرة بذلك كما تكفر الصغائر باجتناب الكبائر، فهذا باطل[3] وإن أريد أنه قد يوازن يوم القيامة بين الكبائر وبين بعض الأعمال، فتمحى الكبيرة بما يقابلها من العمل، ويسقط العمل، فلا يبقى له ثواب، فهذا قد يقع))[4]

---

[1] [النساء:٤٨]

[2] ملخص من كلام ابن رجب نقلا عن ابن تيمية رحمهما الله

[3] قد تقدم ذكر الإجماع على ذلك قريبا فراجعه

[4] ملخص من كلامه في جامع العلوم والحكم عند شرح حديث (اتق الله حيثما كنت . .)

ملاحظات لا بد منها في التكفير والتفسيق[1]

أولا: الفرق بين التكفير المطلق وتكفير المعين

التكفير المطلق هو: الحكم بالكفر على القول أو الفعل أو الاعتقاد الذي ينافي أصل الإسلام ويناقضه وعلى الفاعلين على سبيل الإطلاق بدون تحديد أحد بعينه.

تكفير المعين هو: الحكم على شخص بعينه بالكفر لاقترافه ما يناقض الإسلام بعد مراعاة ضوابط التكفير من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع.

ثانيا: تكفير شخص أو جماعة أو طائفة خطير جدا

إن الحكم على معين بالكفر من غير ضوابط خطير للغاية؛ لما يستتبعه من أحكام دنيوية وأخروية، ولهذا كان السلف رغم تكفيرهم لبعض الطوائف يتحرزون أشد التحرز من إنزال هذا الحكم على أفرادها.

ثالثا: قواعد في التكفير والتفسيق

القاعدة الأولى: التكفير حكم شرعي ولهذا لا بد من فهم أمرين: –

أ/ لا يكفر إلا من كفره الله ورسوله: فمن نص الشرع على كفره قلنا بكفره، ومن لم يكفره لم نكفره. وبناءً على أن التكفير حق لله فلا يجوز: ١–التكفير بالعقليات ٢–التكفير بالهوى، ٣–التكفير بالعواطف.

[1] بتصرف من كتاب التكفير حكمه – ضوابطه – الغلو فيه / فهد عبد الله

ب/بيان التكفير خاص بالراسخين في العلم: -بما أن التكفير، حكم شرعي لذا لا يصح الحكم على فكرة أو حادثة أو شخص بالكفر إلا من أهل العلم الموثوقين والمعتبرين، الذين يفهمون الشرع حق فهمه وتلقوا علمهم من أهله، وهؤلاء يعرفون بالاستفاضة . . . .

القاعدة الثانية: وجوب الاحتياط في التكفير العيني: قبل الحكم بتكفير المعين، لا بد من التأني والإعذار وإقامة الحجة، احتياطاً لحفظ الدماء وأمن واستقرار الفرد والمجتمع ولهذا قال العلماء: "ينبغي للمفتي أن يحتاط في التكفير ما أمكنه، لأن الإيمان محقق فلا يرتفع إلا بيقين" . قال ابن حزم: "إن كل من ثبت له عقد الإسلام فإنه لا يزول عنه إلا بنص أو إجماع، وأما بالدعوى والافتراء فلا" ويقول ابن الوزير: بعد أن ذكر عدم تكفير جمهور العلماء للخوارج: "فإذا تورع الجمهور من تكفير من اقتضت النصوص كفره، فكيف لا يكون الورع أشد من تكفير من لم يرد في كفره نص واحد، فاعتبر تورع الجمهور هنا، وتعلم الورع منهم في ذلك" ويقول المودودي: "يجب ملاحظة قضية تكفير المسلم، والاحتياط في هذه المسألة احتياطاً كاملاً، يتساوى مع الاحتياط في إصدار فتوى بقتل شخص ما، وعلينا أن نلاحظ أن في قلب كل مسلم يؤمن بالتوحيد ولا إله إلا الله إيماناً، فإذا صدر عنه شائبة من شوائب الكفر فيجب أن نحسن الظن، ونعتبر هذا مجرد جهل منه وعدم فهم، وأنه لا يقصد بهذا التحول من الإيمان إلى الكفر، لأنه لا يجب أن نصدر ضده فتوى بالكفر بمجرد أن نستمع إلى قوله، بل يجب علينا أن نفهمه بطريقة طيبة ونشرح له ما أشكل عليه، ونبين له الخطأ من الصواب"

رابعا: شروط تكفير المعين

الشرط الأول: أن يقصد المعين بكلامه أو بفعله المعنى المكفر لأنه كثيراً ما يقول الناس أقوالاً أو يفعلون أفعالا هي في حقيقتها كفر بيد أنهم لا يقصدون الشيء المكفر. مثلا السجود للنبي ﷺ (فهو يحتمل الشرك ويحتمل الإعظام) روى عبد الله بن أبي أوفى قال: "لما قدم معاذ رضي الله عنه من الشام سجد للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: ما هذا يا معاذ؟ قال معاذ: أتيت الشام فوافيتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك

فقال النبي ﷺ: فلا تفعلوا، فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها".

الشرط الثاني: قيام الحجة: –وقيام الحجة هنا معناه أن يعرف الفاعل بحكم الشرع في هذه القضية وأنها مخالفة للدين ومناقضة له. ولهذا اتفق الأئمة على أن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث العهد بالإسلام فأنكر شيئاً من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول ﷺ"

خامسا: موانع تكفير المعين

في هذا المطلب نذكر الموانع التي تمنع من إطلاق التكفير، والتي ينبغي الإلمام بها ومعرفتها:

أولاً: الجهل: –ومقصود العلماء بالجهل الذي يعذر صاحبه ويمنع من إطلاق الكفر عليه: – ١– من جهل حكماً لأنه لم يبلغه. ٢– أو بلغه ولم يفهمه. ٣– أو فهمه ولكن قام لديه معارض، فيما يصح أن يكون معارضاً. ٤– أو أن يقلد في عقيدته غيره لقصور نظره، وهذا الصنف أحق بالعذر من غيره لعجزه، وتكليفه خلاف ذلك تكليف لا يطاق، وهذا إذا كان في بلد يغلب فيها الجهل أو المعتقدات الباطلة، ما لم تكن في أصل الإيمان بالله ورسوله.

وقد دلل علماء الإسلام لاعتبار الجهل عذراً بالأدلة الكثيرة أذكر منها: –

– قوله تعالى: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما﴾ (النساء٦٥) وقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ (الإسراء ١٥).

ثانيا: الخطأ: –وحاصل كلام العلماء فيه أنه: ما صدر من المكلف دون قصد المكلف له، أو قصده مع ظنه صوابيته وليس كذلك والأدلة على أن الخطأ عذر يمنع التكفير كثيرة كقوله تعالى: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ (البقرة ٢٨٦) وصح في السنة أن الله قال: قد فعلت، وقوله تعالى: ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ (الأحزاب ٥)

ثالثاً: التأويل: –والمقصود هنا هو: "صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك لدليل منفصل يوجب ذلك، وهذا التأويل لا يكون إلا مخالفاً لما يدل عليه

اللفظ ويبينه، وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف السلف، وإنما سمى هذا وحده تأويلاً طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه وأصوله والكلام . . وهذا هو التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه" والتأويل ضرب من الخطأ ولذا فإن أدلة العذر به هي نفسها أدلة العذر بالخطأ: وقد تكاثرت الآيات والأحاديث في العفو عن الخطأ، والظاهر أن أهل التأويل أخطأوا ولا سبيل إلى العلم بتعمدهم، لأنه من علم الباطن الذي لا يعلمه إلا الله" .

يقول الإمام محمد الوزير بعد تقريره هذه القاعدة: "إن المتأولين غير كفار، لأن صدورهم لم تنشرح بالكفر قطعاً أو ظناً أو تجويزاً أو احتمالاً، وقد يشهد لهم بذلك كلام أمير المؤمنين علي ﷺ، وهو الصادق المصدوق في المشهور عنه حيث سئل عن كفر الخوارج فقال: من الكفر فروا، فكذلك جميع أهل التأويل من أهل الملة وإن وقعوا في أفحش البدع والجهل، فقد علم منهم أن حالهم في ذلك هي حال الخوارج" وفي فيض القدير: "والصواب عدم تكفير أهل الأهواء المتأولين، لأنهم لم يقصدوا اختيار الكفر، بل بذلوا وسعهم في إصابة الحق فلم يحصل ما زعموه فهم كالمجتهد المخطئ هذا الذي عليه محققوا علماء الأمة" . هذا وإن العلماء عندما اعتبروا التأويل عذراً فإنهم لم يعذروا به على الإطلاق، ولتوضيح هذا فإن العلماء قسموا التأويل على ثلاثة أقسام: –

١– تأويل هو المراد من النص. ٢– تأويل قريب، أي له وجه في اللغة ٣– تأويل مستحيل غير معتبر.

والنوع الأول لا خلاف في اعتماده واعتباره بين العلماء إذا دل عليه النص، وهذا كتأويل الجنب في قوله تعالى:

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (الزمر: من الآية ٥٦) أي حق الله. والثاني هو المقصود هنا، ومثاله من تأول صفة اليد على القدرة أو النعمة، إذ إن لهذا التأويل وجهاً في اللغة لا يمكن نكرانه، هذا إضافة إلى قيام شبهة خوف الوقوع في التشبيه الذي فروا منه، واعتقاد طائفة منهم كفر من أثبتها ولو من غير تكييف، كما هو

مذهب بعضهم، ومع أن هذا التأويل قريب من حيث اللغة إلا أن الصواب هو الإثبات كما هي عقيدة خير سلف الأمة.

أما التأويل غير المعتبر فهو الذي يستحيل حمل اللفظ عليه، كتأويل الباطنية الصلاة والزكاة وغيرها بما يخرجها عن ظاهرها، وكمن "تأولوا الرب ﷻ وجميع أسمائه بإمام الزمان، وسموه باسم الله ﷻ، وفسروا لا إله إلا الله أي لا إمام إلا إمام الزمان في زعمهم، وتلاعبوا بجميع آيات كتاب الله عز وجل في تأويلها جميعاً بالبواطن التي لم يدل على شيء منها دلالة ولا أمارة، ولا لها في عصر السلف الصالح إشارة" فهذه التأويلات لا يعذر قائلها البتة، يقول الإمام ابن الوزير: " وكذلك لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة للجميع وتستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنى، بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الأخروي من البعث والقيامة والجنة والنار، وإنما يقع الإشكال في تكفير من قام بأركان الاسلام الخمسة المنصوص على إسلام من قام بها إذا خالف المعلوم ضرورة للبعض أو للأكثر لا المعلوم له وتأول، وعلمنا من قرائن أحواله أنه ما قصد التكذيب، أو التبس ذلك علينا في حقه وأظهر التدين والتصديق بجميع الأنبياء والكتب الربانية مع الخطأ الفاحش في الاعتقاد ومضادة الأدلة الجلية عقلاً وسمعاً، ولكن لم يبلغ مرتبة الزنادقة"

رابعاً: الإكراه: -الإكراه لغة هو: القهر والإجبار بدون محبة ورضا واختيار. وفي الاصطلاح هو: "إلزام الغير بما لا يريده" أو "الإلجاء إلى فعل الشيء قهراً". ويكون الإكراه عذراً يمنع من التكفير بشروط أربعة: -

١- أن يخشى تلف عضو من أعضائه. ٢- أن يغلب على ظن المكرَه قدرة المكره على إيقاع ما هدد به.

٣- أن يكون ما هدده به عاجلاً أو آجلاً وجرت العادة أنه لا يخلف ما هدد به. ٤- أن لا يظهر من المكرَه ما يدل على اختياره، كما لو أكرِهه على سب الله فسب المكرَه رسول الله أيضا والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل

١٠٦) "فأباح سبحانه عند الإكراه أن ينطق الرجل بالكفر بلسانه إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان، بخلاف من شرح بالكفر صدراً، وأباح للمؤمنين أن يتقوا من الكافرين تقاة مع نهيه لهم عن موالاتهم" قال القرطبي: "النطق بكلمة الكفر تسقط الأحكام المترتبة عليه في حال الإكراه باتفاق العلماء" ومما سبق بيانه في الشروط السابقة يعلم أنه ليس من الإكراه في شيء الحصول على منافع دنيوية زائلة، أو الخوف على فوات مصدر رزق ونحوه، أو توقع مضار على سبيل التخرص، أو وقوعها فعلاً دون إكراه مباشر، فهذه جميعاً لا تعتبر إكراهاً ولا تجيز لصاحبها أن يكفر لأجلها، ولا فرق هنا بين الأقوال والأفعال، بمعنى أن المكرَه إذا أكره على فعل أو قول كفريين لا يكفر بذلك، ومن الخطأ حصر العذر في الأقوال لعموم الآية السابقة الدالة على عدم الفرق بين القول والفعل، ولعدم وجود دليل آخر يفرق بينهما، ولعدم وضوح الفرق بينهما أصلاً.

سادسا: لماذا نذكر نواقض الإسلام إذا؟

ما دام التكفير شديد الخطورة إلى الحد الذي ذكرناه فيما تقدم فلماذا يذكر العلماء نواقض الإسلام؟

والجواب هو أنهم يرمون من بيانهم هذا إلى ما يلي: –

١. بيان حكم الله في القضايا والصور التي تعرضوا لها. ٢. بيان الحدود الدينية التي لا يجوز تجاوزها في حالة الاختيار بحيث لو تعداها المسلم فإنه يكون قد خرج من دينه. ٣. أرادوا في الوقت نفسه حماية العقيدة ودين الأمة من لعب اللاعبين وتهور المتهورين. ٤. تحذير الناس وتنبيههم من الوقوع في المكفرات التي يجهلون كثيراً منها، ولهذا نادى بعض الفقهاء بضرورة تعليم الناس وتعريفهم بصور وأسباب الردة التي قد يقعون فيها عن جهل.

لهداية الناس وردهم إلى الحق يرسل الله الرسل ويبعث النذر

تمهيد

حين يرى الله ﷻ عباده قد انحرفوا عن الصراط المستقيم، والدين القويم، والفطرة السوية، (انحرافاً كلياً "كفر"، أو انحرافاً غالباً "فسوق"، أو انحرافاً جزئياً "عصيان") كما مرَّ معنا في الصفحات السابقة، فإنه لا يتركهم يتخبطون في متاهات الغي، أو يتيهون في أودية الضلال، بل يرسل رسلاً، ويبعث نذراً، ليردَّ الناس إلى الحق والعدل، والهدى والنور، إن هم أرادوا ذلك، إقامة للحجة، وإظهارا للمحجة، حتى لا يعتذر المعتذرون يوم القيامة لو أرسلت إلينا رسولاً لآمنا وعدنا إلى الصواب، قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قبل أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[1] وقال ﷻ مؤكدا هذه الحقيقة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[2] هذه الرسل والنذر نوعان منها ما هو مباشر ومنها ما هو غير مباشر وهذا ما سنناقشه في الصفحات التالية بإذن الله تعالى: –

[1] () طه (١٣٤)

[2] () الإسراء (١٥)

فأما المباشرة فهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم:

- فلكل أمة رسول وفي كل قوم نذير قال ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾[1] وقال ﷻ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[2]
- وأحيانا يرسل الله ﷻ أكثر من رسول في منطقة واحدة قال ﷻ:- ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾[3]
- ختم الله الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بمحمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[4] وقال عز وجل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[5]
- من الأنبياء والرسل عليهم السلام من ذكر في القرءان الكريم ومنهم من لم يذكر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بعدد الأنبياء والمرسلين: ((عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: "ثلاثمائة وبضعة عشر جمّاً غفيراً"، وفي رواية أبي أمامة رضي الله عنه، قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرُّسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً")). رواه الإمام أحمد في مسنده وصححه الألباني في الصحيحة

---

[1] () يونس (٤٧)
[2] () فاطر (٢٤)
[3] () يس (١٣-١٤)
[4] () آل عمران (١٤٤)
[5] () الأحزاب (٤٠)

إلام يدعوا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؟

يدعو كل نبي أو رسول قومه إلى عبادة الله وتقواه وطاعة أنبيائه ورسله قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[1] وهذا يشمل أمرين:

- الأول توحيد الله جل جلاله وإفراده بالعبادة.
- الثاني إصلاح السلوك والسير على هدى الله في كل مناحي الحياة.

– فأما توحيد الله جل جلاله وإفراده بالعبادة فقد دعا كل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أقوامهم إلى هذه المسألة قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2] إذا فهي عقيدة واحدة عند كل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

– وأما الشريعة التي يسيرون عليها في حياتهم فتتفق في الأصول والقواعد العامة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[3]

– ونحن نعلم ما قرره علماء الأصول من أن الشرائع التي أنزلها الله تعالى أنزلها لجلب المصالح للعباد ودرأ المفاسد عنهم وقد جمع الله جل جلاله أصول المصالح والمفاسد في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

---

[1] () نوح (٣)

[2] () النحل (٣٦)

[3] () الشورى (١٣)

تَذَكَّرُونَ﴾[1] ولذلك فإن الله ﷻ بين لنا في القرآن الكريم أصول المحرمات التي يتفق جميع الأنبياء والمرسلين عليها كما قال العلماء فقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]

– وأما تفاصيل الشريعة وفروع الأحكام فلكل نبي ورسول أو لكل مجموعة منهم شريعة مختلفة قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[3]

– والمؤمن الحق يؤمن بكل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وبكل ما أنزل عليهم قال ﷻ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[4] لأن دينهم واحد قال ﷻ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[5] وقال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[6]

---

[1] () النحل (٩٠)
[2] () الأعراف (٣٣)
[3] () المائدة (٤٨)
[4] () البقرة (٢٨٥)
[5] () آل عمران (١٩)
[6] () آل عمران (٨٤–٨٥)

محمد رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام

ـ محمد رسول الله ﷺ بشر به الأنبياء والرسل السابقون ووصفوه بأوصاف خلقية وخلقية لا تنطبق إلا عليه لذا أخبرنا الله ﷻ أن علماء اليهود والنصارى يعرفون رسول الله ﷺ كما يعرفون أبنائهم فقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1] وهكذا بعثه الله ﷻ وخصه بخصائص منها أنه أرسله للعالمين قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[2]

ـ لذا وجب على كل من يريد أن يعود إلى الحق ويسلك الطريق المستقيم ويسير على دين الفطرة أن يؤمن به ويتبعه ولا عبرة لأحد باتباع غيره كائنا من كان لأن دينه الإسلام دين كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو النبي الخاتم به أكمل الدين وتمت الرسالة قال عز وجل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[3]

ـ ولهذا آمن برسول الله ﷺ واتبعه الثلة الأولى من الأحبار والرهبان الذين عاصروه وأعلنوا لأقوامهم أنه النبي والرسول الخاتم الذي بشر به موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قال ﷻ عن أحد أكابر علماء اليهود عبد الله بن سلام رضي الله عنه: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[4] وقال ﷻ عن جماعة من النصارى وفدوا على رسول الله ﷺ ليروا ويسمعوا ما جاء به: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ

---

[1] () البقرة (١٤٦)

[2] () الأنبياء (١٠٧)

[3] () المائدة (٣)

[4] () الأحقاف (١٠)

الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[1]

ـ أما غيرهم ممن أعماهم التعصب واتبعوا أهوائهم وحرصوا على مصالح شخصية آنية كالزعامة على قومهم فقد استصعبوا أن يكون النبي الخاتم ﷺ من غيرهم من العرب لذا رفضوا وجحدوا مع علمهم يقينا أنه نبي آخر الزمان الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل قال ﷻ: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2] أي أن أهل الكتاب "اليهود والنصارى" يعرفون رسول الله ﷺ كما يعرفون أبنائهم لكنه الجحود والنكران نعوذ بالله من الخسران .

من يبلغ الدين ويدعو إلى الحق بعد انقطاع الوحي وموت الرسول ﷺ

المسئول الأول عن تبليغ الدين ونشره والدفاع عنه، بعد وفاة الرسول ﷺ، هم حكام المسلمين، لأن واجبهم حماية الدين، وسياسة الدنيا به، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[3] ثم يأتي دور العلماء، علماء الوحي كتابا وسنة، لأنهم ورثة الأنبياء، والله أخذ عليهم الميثاق، قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾[4] والعلماء أخشى الناس لله، وأخشاهم أتقاهم، لأنه كلما زاد العلم زادت الخشية، قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[5] ثم تكون المسئولية بعد ذلك

---

[1] () المائدة (٨٣)
[2] () الأنعام (٢٠)
[3] () الحج – الآية ٤١
[4] () آل عمران (١٨٧)
[5] () فاطر (٢٨)

على كل مسلم يتبع رسول الله ﷺ الذي أمره الله ﷻ أن يخبرنا أنه يدعو إليه على بصيرة هو ومن اتبعه بقوله ﷻ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]

هل يعتبر الأحبار والرهبان اليوم من أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟

لا اعتبار اليوم للأحبار والرهبان حتى ولو زعموا أنهم على دين صحيح وأنهم ورثة أنبياءهم لأن هذه الدعوى باطلة من وجهين:

- الأول: أنهم لم يعملوا بما في دينهم من الإيمان بكل الرسل والرسالات بل كفروا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا واحدا أو جماعة وبالأخص كفروا بمحمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي ثبت بما لا يدع مجالا للشك أنه آخر من أوحي إليه من البشر وهو أعلم منهم بالحق من الباطل والصحيح من الخطأ وتصديقه أولى من تصديقهم .
- الثاني: أن ما بين أيديهم من الكتب محرف ومبدل لفظا ومعنى لذا تجده يتعارض عندهم ويتناقض حتى داخل الكتاب الواحد وكذا يتعارض مع ما أنزله الله على محمد ﷺ عقيدة وشريعة مع أن عقيدة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأصول شرائعهم واحدة كما ثبت سلفا وإن وجدت مسائل متوافقة فنادرة والنادر لا حكم له.

---

[1] () يوسف (١٠٨)

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[1]

الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وورثتهم كيف يردون المنحرفين؟

يردونهم بالتبليغ والبيان والوعظ والتذكير والتعليم والتزكية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح وغير ذلك من الوسائل الشرعية الممكنة: –

- فأما التبليغ للرسالة عقيدة وشريعة فقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[2] وقال ﷻ عن أحد الأنبياء عليهم السلام وهو يخاطب قومه: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3]
- وأما التوضيح والبيان فقد قال عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[4]
- وأما التربية والتعليم فقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[5]

---

[1] () النساء – الآية ١٥٠ـ ١٥١

[2] () الأحزاب (٣٩)

[3] () الأعراف (٦٢)

[4] () إبراهيم (٤)

[5] () الجمعة (٢)

- وأما الموعظة فقال تعالى: ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾[1]
- وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال ﷻ: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾[2]
- وأما النصيحة فقال ﷺ عن أحد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو يخاطب قومه: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾[3] وقال ﷺ: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ))[4]

إذا فواجب المسلمين اليوم في أقطار الأرض: –

- أن يتعاونوا فيما بينهم للقيام بواجبهم تجاه الدين علماً به وعملا وتبليغا وتوضيحا، سواء بالوعظ والإرشاد أو بالتربية والتعليم أو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو غيره مما يناسب كل مقام ومرحلة حسب تعاليم الشرع الحنيف ليسلم الكافر ويتوب الفاجر وينتبه العاصي فيحيا الناس حياة طيبة كلها طمأنينة وسعادة قال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾
- ليس على العلماء الربانيين والدعاة والناصحين بعد البلاغ المبين مسؤولية إعراض الناس وعدم استجابتهم قال ﷻ: ﴿ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى

---

[1] () النساء (٦٣)
[2] () الأعراف – الآية ١٥٧
[3] () الأعراف – الآية ٦٨
[4] () متفق عليه

الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[1] وقال ﷻ: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾[2] وقال ﷻ: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]

- حتى يمكن الله في الأرض لدينه ولأوليائه فإن مكن الله ﷻ لهم أقاموا الدين وحكموا بالعدل ونشروا الفضيلة في كل أنحاء المعمورة قال ﷻ: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[4]

وأما الرسل والنذر غير المباشرة فمنها:

- العمر الطويل الذي يرى فيه الإنسان من الأحداث والعبر ما فيه ذكرى لمن يتذكر قال ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾[5]
- الأحداث والوقائع التي وقعت للأمم السابقة مع أنبيائهم فيها عبرة للمعتبرين وتذكرة للمتذكرين قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[6]

---

[1] () العنكبوت (١٨)
[2] () الغاشية (٢١-٢٢)
[3] () الذاريات (٥٤-٥٥)
[4] () الحج – الآية ٤١
[5] () فاطر (٣٧)
[6] () يوسف (١١١)

- عناية الله ﷻ بنا ورعايته لنا بالليل والنهار فيها ذكرى لمن يتذكر قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾[1]
- المصائب والفتن التي تحدث بين الفترة والأخرى فيها موعظة وذكرى لمن ينتبه ويتذكر قال ﷻ: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[2]
- آيات الله المبثوثة في أرجاء الكون في السماوات والأرض في البر والبحر والجو كلها تدل على الله تعالى وتذكر به قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3]
- الرؤى والأحلام فيها أحيانا عبرة وذكرى ونصيحة وموعظة لمن يعي ويدرك وهذا يؤيده الواقع فكم سمعنا عن أناس تابوا بسبب رؤى رأوها في المنام .
- صوت الفطرة أو ما يسمى بالضمير الحي والذي يظهر للمنحرف بين الحين والآخر من داخله مناديا له أن عد إلى الصواب واترك الانحراف فيراجع نفسه من تذكر وينتبه من سكرته من اعتبر ويستمر الغاوون في غيهم وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في قوله: ((ضرب الله تعالى مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس!

---

[1] () الأنبياء (٤٢)
[2] () التوبة (١٢٦)
[3] () البقرة (١٦٤)

ادخلوا الصراط جميعا ولا تتعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم)) .[1]

[1] (صحيح) أخرجه أحمد والحاكم من حديث النواس انظر المشكاة وصحيح الجامع للألباني

ماذا تريد الرسل والنذر المباشرة وغير المباشرة؟

هذه الرسل والنذر المباشرة وغير المباشرة تنادي بأعلى صوت وأبلغ بيان في الضالين والمنحرفين سواء كانوا كفاراً أو فساقاً أو عصاة أن: –

– ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]

– ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[2]

فيا من غرق في الشهوات ويا من أنسته الغفلة ذكر ربه ويا من خنقته الشبهات تب إلى الله:

- قال الله ﷻ آمرا نبيه ﷺ أن يخاطب الكفار: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾[3]
- وقال ﷻ عن المنافقين: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[4]
- وقال ﷻ مخاطبا من أسرف على نفسه بالمعاصي: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[5]
- وقال ﷻ لكل المذنبين من كل الأنواع: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا

---

[1] () الأحقاف (٣١)

[2] () النساء (١٧٠)

[3] () الأنفال (٣٨)

[4] () التوبة (٧٤)

[5] () الزمر (٥٣).

يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[1]

من آمن وعمل صالحا فليبشر بالخير وأما من أساء العمل فلا ينفعه الأمل

- لأن الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي ولكنه ما وقر في القلب وصدقه العمل قال تعالى: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[2]
- صحيح أن الله تعالى غافر الذنب لكنه أيضا شديد العقاب قال ﷻ: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾[3] وهو غفور رحيم لكن عذابه هو العذاب الأليم قال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾[4]
- وحتى لا يلتبس الأمر علينا بين لنا ﷻ أن مغفرته ورحمته وعفوه لمن تاب وأناب وآمن وعمل صالحا قال ﷻ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾[5] وقال الله ﷻ: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[6]

---

[1] () الفرقان (٦٨-٧١)
[2] () النساء (١٢٣)
[3] () غافر (٣)
[4] () الحجر (٤٩-٥٠)
[5] () طه (٨٢)
[6] () الأعراف (١٥٦)

موقف الناس من الرسل والنذر

قبل أن نتكلم عن هذا لا بد من الحديث عن أن الله ﷻ خلق الإنسان مزودا بقوتين هما:[١]

١) قوة الإدراك والتي من خلالها يعرف ويدرك ما حوله ومن حوله وهذه القوة تتمثل في: (السمع والبصر والعقل) وهي وسائل المعرفة لدى الإنسان قال ﷻ: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢]

٢) قوة الإرادة والتي من خلالها يستطيع العمل ويقدر على الاختيار وهذه القوة تتمثل في: (القلب للقبول أو الرفض، واليدين للبطش، والرجلين للمشي، واللسان للتعبير) قال ﷻ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٤]

إذا من خلال هذه الآيات وغيرها يتبين لنا أن الله ﷻ خلق الإنسان مزودا بقوتي الإدراك والإرادة لذا يمكنه أن يفهم ويدرك ويمكنه أن يريد فيفعل أو لا يفعل، ولهذا انقسم الناس أمام دعوة الرسل والنذر المباشرة وغير المباشرة على قسمين:

☒ الأول: رفضوا الاستجابة لصوت الحق وأعرضوا عنه.

✓ الثـانـي: قبلوا الحق وأقبلوا عليه.

---

[١] مستفاد من كلام ابن القيم رحمه الله

[٢] النحل (٧٨)

[٣] [الشمس :٧- ٨]

[٤] [سورة فصلت : ٤٠]

فأما الذين رفضوا الاستجابة لصوت الحق وأعرضوا عنه:

فهم أكثر الناس وغالبيتهم وخاصة في البداية قال ﷻ: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[2] وهؤلاء هم من ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾[3] وقول الله تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[4] لأنهم لا يستجيبون إلا لإغواءات الشيطان وإملاءات الهوى قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾[5]

ولو نظرنا في أحوال الأمم السابقة لوجدنا أن من رفض الاستجابة لدعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم الكثرة الكاثرة من الناس لذا ورد في الحديث أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجيء يوم القيامة ومعه رجل أو رجلان ومنهم من يأتي وليس معه أحد ومنهم من يأتي ومعه مجموعة صغيرة هم كل من اتبعه، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، . .))[6] وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: ((عُرِضَتْ عَلَيْنَا الْأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ بِيَ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، . .))[7]

---

[1] () يوسف (١٠٣)

[2] () الفرقان (٥٠)

[3] () الصافات (١٣)

[4] () الإسراء (٦٠)

[5] () النجم (٢٣)

[6] () إسناده صحيح، أخرجه النسائي، وابن ماجه.

[7] () صحيح أخرجه ابن منده في الإيمان

مراحل الإعراض:

١ـ تعطيل وسائل المعرفة وعدم الانتفاع بها والاستفادة منها: –

فهم يمتلكون الأسماع والأبصار والأفئدة لكنهم لا يستعملونها الاستعمال الصحيح فتارة يغلقونها قال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾[١] وتارة يفتحونها لكن عازمين على أن لا يصدقوا ولا يستفيدوا قال تعالى عن الكفار في عهد رسول الله ﷺ: ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[٢] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾[٤] وقال جل جلاله: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[٥] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾[٦]

---

[١] () نوح (٧)
[٢] () الأنبياء (٢)
[٣] () الأعراف (١٩٨)
[٤] () الكهف (١٠١)
[٥] () الأعراف (١٧٩)
[٦] () النمل – الآية ٨٠

٢ ـ كراهية الحق ومجادلة أهله بالباطل: ـ

وهذه نتيجة مباشرة للإعراض فمن أعرض عن الحق كرهه وجادل أهله قال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[١] وقال ﷻ: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[٢]

٣ ـ الإعراض النهائي والختم الإلهي: ـ

وهذه المرحلة لا يصل إليها إلا من لا خير فيه ولا فائدة من الخوض معه في شيء قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[٣] ومن وصل إلى هذه المرحلة من الإعراض يعاقبه الله ﷻ "فيختم على قلبه ويعمي بصيرته" قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾[٤] وهذا جزاءٌ عادلٌ لإعراضهم، ونتيجة طبيعية لامتناعهم عن قبول الحق، قال ﷻ عن بني إسرائيل: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٥] وقال ﷻ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٦]

---

[١] () الزخرف (٧٨)

[٢] () الأنفال (٦)

[٣] () الأنفال (٢٢-٢٣)

[٤] () الكهف (٥٧)

[٥] () النساء الآية ١٥٥

[٦] () الصف – الآية ٥

أسباب الإعراض:

- **الكبر:**

فالمتكبر لا يسمع الحق من أحد، وخاصة إذا كان أصغر منه سنا، أو أدنى منه مركزا، أو أقل منه مالا وجاها، لذا قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[1] وقال ﷻ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[3]

- **احتقار الداعين إلى الحق والخير وأتباعهم:**

وهذا وإن كان داخل في الكبر إلا أنه لا بد من إفراده لزيادة التوضيح والبيان قال تعالى مبينا حال المشركين تجاه رسوله ﷺ: ﴿ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾[5] وأخبرنا ﷻ عن قوم يخاطبون رسولهم: ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾[6] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا

---

[1] () البقرة (٢٠٦)
[2] () الأعراف (١٤٦)
[3] () غافر (٥٦)
[4] () القمر (٢٥)
[5] () الفرقان (٤١)
[6] () الشعراء (١١١)

قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]

- **الجهل:**

وهو من أكبر الأسباب التي تجعل الناس يعرضون عن الحق ويكرهونه بل ويحاربونه قال تعالى: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾[2] وقال ﷻ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾[3]

- **استبطاء العذاب واستبعاد الثواب:**

فهم يسمعون عن التباشير والوعود لمن آمن وصدّق، بالسعادة والسيادة في الدنيا، وحسن الثواب في الآخرة، ويسمعون عن التهديد والوعيد لمن خالف وعاند، بالذل والهوان في الدنيا، وسوء العقاب في الآخرة، لكنهم قد لا يشاهدون بنظرهم القاصر شيئاً من هذا على أرض الواقع، فيستبعدون وقوعه، قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾[4] وقال ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا

---

[1] () البقرة (١٣)
[2] () الأنبياء (٢٤)
[3] () يونس – الآية ٣٩
[4] () الكهف (٥٥)

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] وقال ﷻ: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾[2] وهم يقولون هذا الكلام استهزاءً وسخرية، وإلا فإن العذاب سيأتي في حينه الذي يريده الله، قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[3]

- **مسايرة الأغلبية رغبة في مصلحة أو خوفا من مضرة أو أذى:**

فهم مع ساداتهم وكبرائهم فيما يأمرونهم به، من دون نظر أو تأمل، قال ﷻ: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾[4] وهم مع الحق إن كانت نصرته لا تكلف شيئاً، وإلا تراجعوا، وغيّروا وجهتهم، خوفاً من أذىً واقع أو متوقع، وهذا بسبب رخص الحق عندهم، وضعف اقتناعهم به، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾[5] وهذا للأسف حال المنافقين الذين لم يتمكن الإيمان في قلوبهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾[6]

---

[1] الأنفال – الآية ٣٢

[2] ص – الآية ١٦

[3] العنكبوت – الآية ٥٣

[4] الأحزاب (٦٧)

[5] العنكبوت (١٠)

[6] البقرة (١٤)

خلاصة حال المعرضين

ويمكن تلخيص حال المعرضين بأن مدار انحرافهم كما قال ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة على أمرين: –

١) الخوض في الشبهات المانعة من تصديق الخبر.
٢) الغرق في الشهوات المانعة من امتثال الأمر.

إذا فالذي جعلهم هكذا وجعل الله ﷻ يطبع على قلوبهم ويختم على أسماعهم ويجعل على أبصارهم غشاوة هو:

١) إعراضهم عن الحق وخوضهم في الشبهات التي يلقيها شياطين الإنس عند مخالطتهم أو قراءة كتبهم أو تصفح مواقعهم والتي تؤثر بوسوسة ووشوشة شياطين الجن عند الخلوة والفراغ وترك حلق العلم والذكر.
٢) إعراضهم عن الفضيلة وغرقهم في الشهوات وكان لهم أن يفرغوا شهواتهم في المباح وفي المباح متسع لو كانوا يعلمون ويعقلون.

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه إنك سميع مجيب.

وأما الذين قبلوا الحق وأقبلوا عليه:

فهم قليل في العدد وخاصة في البداية قال الله ﷻ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾[1] وقال عز وجل: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[2] وقال تعالى: ﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3] .

لذلك لو نظرنا في أتباع الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام لوجدناهم قليل جدا بالنسبة لمن أعرضوا ولم يستجيبوا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، . .))[4] وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: ((عُرِضَتْ عَلَيْنَا الْأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ بِيَ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، . .))[5]

وكذلك لو نظرنا في عدد المسلمين اليوم لوجدنا أنهم قليل مقارنة بغيرهم، لأنهم لا يمثلون سوى سدس سكان العالم، والبقية كفار، ثم لو تأملنا لوجدنا أن المؤمنين الملتزمين قليل جدا بالنسبة للمسلمين، ثم إن العلماء قليل جدا مقارنة بعدد المؤمنين، ثم إن الربانيين المتحركين من العلماء قليل جدا مقارنة بغيرهم من القاعدين وهذا من غربة الإسلام التي ذكرها النبي ﷺ في قوله: ((بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ))[6]

---

[1] () ص (٢٤)

[2] () سبأ (١٣)

[3] () (سورة آل عمران: ١١٠)

[4] () إسناده صحيح، أخرجه النسائي، وابن ماجه.

[5] () صحيح أخرجه ابن منده في الإيمان

[6] () رواه مسلم وغيره

أسباب ومراحل القبول:

١) استعمال وسائل المعرفة "السمع والبصر والعقل":

فتراهم يسمعون ويبصرون ويتفكرون فيما سمعوه وأبصروه قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[١] وقال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[٢] وهكذا تجد العاقل يسمع ويبصر ويتدبر ولا يرد الحق ابتداء بل يستعمل أدوات المعرفة ثم يقرر بعيدا عن أي مؤثر خارجي.

٢) حصول العلم والمعرفة:

وهذه نتيجة طبيعية لمن سمع وأبصر وعقل حتى لو كان إنسانا بدائيا بسيطا له حظ من التدبر والتأمل فلا شك ستحصل له المعرفة وكلنا يعرف قصة الأعرابي الذي تأمل آيات الله في هذا الكون الفسيح فقال ما يدل على معرفة فطرية واضحة: "البعرة تدل على البعير وأثر القدم يدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج أفلا تدل على العليم الخبير" فكيف بمن يسمع ويبصر ويعقل آيات الله ﷻ التي أنزلها الله على رسوله ﷺ في كتابه الكريم فإنه لا شك سيعرف الكثير النافع عن الله ﷻ وعن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وعن الدين القويم والصراط المستقيم قال ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[٣] لذا أخبرنا الله تعالى أن أهل العلم من أتباع الأنبياء السابقين عليهم السلام بعد سماعهم آيات القرءان الكريم تتلى

---

[١] () ق (٣٧)

[٢] () الأنعام ٣٦

[٣] () الإسراء – الآية ٩

تأثروا وخشعوا لأنهم علموا أنه الحق قال ﷻ: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[1] وقال عز وجل: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[2]

٣) إيمان وتصديق يدفع إلى العزم على الاستقامة:

فلا شك أن المعرفة بالله ﷻ وآياته والعلم برسل الله عليهم الصلاة والسلام ورسالاته توصل إلى الإيمان بالله ﷻ وكل ما أخبر عنه في كتابه الكريم وسنة رسوله ﷺ قال تعالى حاكيا عن الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[3] وذكر الله تعالى دعاء المؤمنين فقال ﷻ: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾[4] لذا استثنى الله تعالى أهل العلم وبين أنهم يؤمنون بخلاف الحمقى والمغفلين الذين يصدرون الأحكام قبل أن يعلموا ويتأكدوا فقال تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[5]

---

[1] () الإسراء (١٠٧-١٠٩)
[2] () سبأ (٦)
[3] () الجن (١-٢)
[4] () آل عمران (١٩٣)
[5] () النساء (١٦٢)

٤) التوفيق والمدد الإلهي:

لأن الجزاء من جنس العمل لذا فإن الله ﷻ يثيب من آمن إيمانا إلى إيمانه وهدى إلى هدايته قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١] وقال ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾[٢] وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[٣]

٥) بعد الإيمان تحدث الاستقامة:

لأن الاستقامة دليل الإيمان وثمرته لذا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[٤]

وقال ﷺ في وصيته الجامعة حين جاءه رجل يسأله: ((قل لي في الإسلام قولا لا أسئل عنه أحدا غيرك فقال له النبي ﷺ: ((قل آمنت بالله ثم استقم)) [٥]

---

[١] () التغابن (١١)

[٢] () محمد (١٧)

[٣] () يونس (٩)

[٤] () فصلت (٣٠)

[٥] () رواه مسلم

خلاصة حال المستجيبين:

ويمكن تلخيص حال المستجيبين للحق المقبلين عليه بما قاله ابن القيم رحمه الله [1] أن مدار إيمانهم يدور على أمرين: –

١) تصديق الخبر من غير اعتراض شبهة تقدح في التصديق . . وهذا يتطلب الاجتهاد في رد شبهات الشياطين التي تحول بين العبد وبين كمال الإيمان والتصديق وذلك يكون بالتعلم والتفقه .
٢) امتثال الأمر من غير اعتراض شهوة تمنع من كمال الامتثال والطاعة. . وهذا يتطلب بذل الجهد في مجاهدة النفس لدفع الشهوات التي تحول بين العبد وبين كمال الطاعة والامتثال .

إذا فهم لما فتحوا أعينهم وأسماعهم وتأملوا وتدبروا عرفوا الحق والهدى فآمنوا به وصدقوه تصديقا جازما وكيف لا يؤمنوا به وهو:

- ✓ يقين مدعم بكل أنواع الأدلة والبراهين العقلية والنقلية الساطعة التي لا تحتمل إلا التصديق والتسليم.
- ✓ ومن جاء بالخبر خيار الناس وأفضلهم في العلم والعمل في الفكر والسلوك .

[1] () في كتابه مفتاح دار السعادة

المعرضون عن الله لا يستوون هم والمؤمنون أبدا

المعرضون والمستجيبون لا يستوون عند الله ﷻ في الدنيا ولا في الآخرة :

- **لا يستوون أبدا لأن أحدهما مسلم ملتزم بأوامر الله والآخر مجرم منتهك لحرمات الله** قال ﷻ: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[1]
- **ولا يستوون لأن أحدهما خبيث والآخر طيب** والفرق بينهما واضح قال ﷻ: ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾[2]
- **و لا يستوون لأن من استجاب بصير وسميع ومن أعرض أعمى وأصم** قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[3]
- **ولا يستوون لأن أحدهما يعمل الصالحات والآخر مسيء** قال ﷻ: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[4]
- **ولا يستوون لأن أحدهما يمشي سويا على صراط مستقيم والآخر مكب على وجهه لا يدري إلى أين يسير** قال عز وجل: ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[5] وقال ﷻ: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ

---

[1] () القلم آية ٣٥، ٣٦

[2] () المائدة (١٠٠)

[3] () هود (٢٤)

[4] () غافر (٥٨)

[5] () الملك (٢٢)

مِنْهَا ﴾[1]

- **ولا يستوون لأن أحدهما في النار والآخر في الجنة** قال ﷻ: ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ الحشر آية ٢٠

حال المستجيبين لداعي الله تعالى في الدنيا والآخرة

أما حال المؤمنين في الدنيا كأفراد فهم :

- ✓ **آمنون مطمئنون** مهما كان وضعهم المادي ومركزهم الاجتماعي وشأنهم السياسي قال ﷻ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[2] وقال ﷻ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[3]
- ✓ **يحيون حياة طيبة** مهما كانت المنغصات المادية والمعنوية لأن الله يرزقهم القناعة والرضا بعد أن يبذلوا جهدهم ويفعلوا ما عليهم من الأخذ بالأسباب قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾[4]

---

[1] () الأنعام (١٢٢)
[2] () الأنعام (٨٢)
[3] () الرعد (٢٨)
[4] () النحل (٩٧)

وأما حال الأمة في الدنيا إن هي استقامت على دين الله ﷻ:

فيمكن تلخيص ذلك في النقاط التالية:

- ✓ **التمكين في الأرض** فأيما أمة أخذت بالدين نظاما وأحكاما عقيدة وشريعة إلا ومكنها الله تعالى في الأرض وأورثها الخلافة والحكم لنشر العدل والأمن في أنحاء المعمورة قال ﷻ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1]
- ✓ **النصر والغلبة** على الأعداء فأيما أمة استقامت على دين الله إلا كان لها النصر والغلبة إن اعتدى عليها أحد أوحال بينها وبين نشر العدل والفضيلة والخير قال ﷻ: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] وقال ﷻ: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾[3]
- ✓ **نزول بركات من السماء وخروج خيرات من الأرض** لأنهم يأخذون بالأسباب المادية والمعنوية تنفيذا لأوامر الله تعالى فيهيئ الله لهم ما لا يهيئ لأعدائهم من الكفار لأن الكفار يبذلون الأسباب المادية فقط لجلب الخيرات لكن المؤمنين حقا يبذلون الأسباب الظاهرة والخفية لذا لا شك سيتفوقون دنيويا على الكفار والفجار قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[4]

---

[1] () النور (٥٥)

[2] () الروم (٤٧)

[3] () غافر (٥١)

[4] () الأعراف (٩٦)

وأما حال المؤمنين عند الموت:

- ✓ **البشرى بالجنة وتأكيد الأمن من الخوف على المستقبل والحزن على الماضي** قال ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[1] وملخص كلام السلف رحمهم الله[2] في تفسير هذه الآية أن الملائكة تتنزل على المؤمنين في ثلاثة مواضع: ـ "عند الموت ـ وفي القبر ـ وعند البعث" تبشرهم بالجنة وتؤمنهم كي لا يخافوا من الموت، ومن عذاب القبر، ومن ما بعد البعث، وكذا تؤمنهم وتطمئنهم على أهليهم الذين تركوهم خلفهم، بأن لا يحزنوا عليهم، لأن الله سيرعاهم ﷻ وعم نواله.
- ✓ **حضور ملائكة فيهم من الطيب والجمال بقدر صلاح أعمال العبد وإيمانه** فيأخذون روح المؤمن أخذا لطيفا ويكلمونه كلاما جميلا ويبشرونه ويطمئنونه فيفرح بلقاء الله تعالى فيفرح الله بلقائه لحديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحا قالوا أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راضٍ غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان ابن فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أدخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راضٍ غير غضبان فلا يزال يقال ذلك حتى تنتهي إلى الله تعالى))[3] وعن عبادة

---

[1] () فصلت (٣٠)

[2] () انظر في ذلك تفسير ابن كثير والقرطبي وفتح القدير وغيرها .

[3] () صحيح رواه ابن ماجة والحاكم وغيرهما

ابن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((من أحب لقاء الله أحب الله لقائه فقالت عائشة ﷺ إنا لنكره الموت فقال ﷺ: ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان من الله وكرامة فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله فأحب الله لقائه))[1]

وأما حال المؤمنين عند البعث والحشر وما بعد ذلك:

- ✓ **يظل الله المؤمنين الأخيار بظله** يوم لا ظل إلا ظله قال ﷺ: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَسْجِدِ، إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ ذَاتُ حَسَبٍ وَجَمَالٍ. فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ))[2]
- ✓ **منهم من يدخل الجنة بغير حساب والبقية يحاسبون حسابا يسيرا ويعطون كتبهم بأيمانهم ويجوزون الصراط بسهولة كل بقدر صلاح عمله** قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[3] وقال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾[4]
- ✓ **ثم يحشرون على المراكب اللائقة بهم** ليركبوها منطلقين إلى الرحمن محاطين بكل الحفاوة والترحيب قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾[5] نقل القرطبي عن

---

[1] () رواه البخاري ومسلم.
[2] () متفق عليه
[3] () الحاقة (١٩– ٢١)
[4] () الانشقاق (٧– ٨– ٩)
[5] () مريم (٨٥)

الإمام علي ﷺ قوله: ((لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله إني رأيت الملوك ووفودهم فلم أر وفدا إلا ركبانا قال يا علي إذا كان المنصرف من بين يدي الله تعالى تلقت الملائكة المؤمنين بنوق بيض رحالها وأزمتها الذهب على كل مركب حلة لا تساويها الدنيا فيلبس كل مؤمن حلة ثم تسير بهم مراكبهم حتى تنتهي بهم إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[2]

- ✓ **ثم يدخلون الجنة** التي فيها من النعيم والسعادة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[3] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4]

---

[1] () النحل (٣٢)

[2] () الزمر (٧٣)

[3] () الكهف ١٠٧، ١٠٨

[4] () السجدة (١٧)

حال المعرضين عن الله ﷻ في الدنيا والآخرة

أما حال المعرضين عن الله في الدنيا :

فيحصل لهم من الضيق والقلق والتعاسة الروحية ما يجعلهم لا يشعروا بنعيم ولا يحسوا بلذة إلا في أوقات قصيرة ثم سرعان ما تنقلب تلك اللذة والمتعة إلى حسرة وألم وقلق لا يعرفون ما سببه حتى وإن توفرت كل أسباب الراحة المادية من مأكل ومشرب وملبس ومركب ومسكن ومنكح قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾[1]

وأما حال المعرضين عن الله ﷻ عند الموت :

- ***فيتمنى كل معرض عن الله عند الموت أن يرجع إلى الدنيا ليعمل صالحا*** لأنه لم ينتبه أنه في طريق السوء إلا حين فاجأه الأجل قال ﷻ: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾[2]
- ***حضور ملائكة لأخذ الروح لكنهم هنا يتعاملون بقسوة وعنف جزاءً وفاقا لما كانوا يعملون في الدنيا من السوء والشر*** عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث أخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم

---

[1] () طه (١٢٤)

[2] () المؤمنون (٩٩-١٠٠)

يعرج بها إلى السماء فلا يفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث إرجعي ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء . .))[1]

أ- فأما الكفار فيهانون عند الموت وتضربهم الملائكة على وجوههم التي أعرضوا بها عن الحق وأدبارهم التي استقبلوا بها الحق قال ﷻ: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[2]

ب- وأما الفجار ممن اتبع ما أسخط الله وكره رضوانه وحرص على إرضاء أعداء الله فيفعل بهم ما يفعل بأسيادهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[3]

وأما حال المعرضين عن الله ﷻ عند البعث والحشر وما بعد ذلك:

- يحشر الكفار والفجار على وجوههم يسحبون سحبا عميا وبكما وصما قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾[4]
- ثم ينتظرون الحساب فتدنو الشمس من رؤوس الخلائق فيعرقون على قدر ذنوبهم كما

---

[1] () صحيح ابن ماجه وغيره

[2] () الأنفال (٥٠)

[3] () محمد آية (٢٥)

[4] () الإسراء (٩٧)

في حديث الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: ((تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ ﷺ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ -قَالَ: فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ))[1]

- ثم يحاسبون حسابا عسيرا بعد أن يعطوا كتبهم بشمائلهم فيخفونها وراء ظهورهم لما يروا فيها من القبائح والفضائح قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[2] وقال ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾[3]
- ثم يساقون إلى النار بعد الحساب يكادون يموتون من العطش قال ﷻ: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[4] فإذا وصلوا بهم إلى النار سألتهم الملائكة ألم يأتكم نذير فيعترفون لكن لا ينفع الاعتراف قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ

---

[1] رواه مسلم

[2] الحاقة – الآية ٢٥– ٢٩

[3] الانشقاق – الآية ١٠– ١٥

[4] مريم (٨٦)

فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[1]

- ثم يأمر بهم الله جل وعلا إلى النار مغلولة أيديهم إلى أعناقهم قال ﷻ: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾[2]
- وهناك في النار يتفاجئون بما أعدّه الله لهم من العذاب الأليم قال ﷻ: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾[3]

[1] () الملك (٨-١١)

[2] () الحاقة (٣٠-٣٧)

[3] () الزمر الآية ٤٧

المبحث الثاني:
الاستقامة خطوة خطوة

تمهيد:

قد يكون الإنسان منحرفا انحرافا كليا: "كفر"، أو انحرافا غالبا: "فسوق"، أو انحرافا جزئيا: "عصيان"، لكنه قد يتأثر لسبب من الأسباب، فيقرر مراجعة نفسه، وتغيير طريقه، والبحث عن ما يخلصه مما هو فيه، من الشقاء والتعاسة، والضياع الروحي والنفسي، وبعد البحث والتأمل، يرى أن لا منجى له مما هو فيه إلا بالفرار إلى الله تعالى، فيتخذ قرارا بالهجرة إلى الله ﷻ بروحه وجوارحه، لعله يحرر نفسه من استحواذ الشيطان وقيود المادة، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1] هذه الهجرة تمر بالخطوات التي سنتناولها في الصفحات التالية بإذن الله ﷻ، وهي خطوات شرعية وواقعية، عرفناها من خلال استقراءنا للنصوص الشرعية، وتأملنا لمسار الاستقامة بالنسبة للأفراد، لذا أعتقد أن من تعلمها، وسار عليها خطوة خطوة، حقق الاستقامة الصحيحة، القائمة على أساس متين، ووفق رؤية واضحة . . .

. . .

[1] () العنكبوت (٢٦)

الخطوة الأولى: التأثر عند سماع موعظة أو مشاهدة عبرة أو حصول موقف

هناك من يتعظ لأنه سمع أو قرأ شيئاً من كلام الله تعالى، كعمر ابن الخطاب ﷺ الذي تأثر حين سمع مطلع سورة طه، والنجاشي الملك العادل الذي تأثر حين سمع آيات من سورة مريم، وغيرهم كثير، وهناك من يتأثر لأنه سمع شيئا من حديث رسول الله ﷺ، فوقع من قلبه موقعا، كما حدث لكثير من علماء الغرب المعاصرين، حين سمعوا بعض الأحاديث النبوية التي فيها إشارة إلى ما أفنوا أعمارهم لأجل اكتشافه، والبحث عنه، وهناك من يتعظ لأنه سمع أو قرأ قصة، حركت مشاعره، وهزت كيانه، وهناك من يتأثر لأنه رأى إنساناً يصلي صلاة خاشعة، أو يتصرف تصرفاً راقياً يلفت انتباهه، ويوقظ ضميره، كما حدث لعدد من مشاهير الشرق والغرب، ممن رأى بعض تصرفات وأخلاقيات ومبادئ بعض المسلمين الحميدة، فتأثر ثم أقبل على الاطلاع على الإسلام وهكذا .

حكاية لطيفة

يحكى أن أحد المستثمرين الصينيين في اليمن أسلم لأنه رأى أن العمال اليمنيين عنده عشوائيون لا يلتزمون النظام حين العمل وحين استلام المستحقات لكن إذا أقيمت الصلاة رأى الهدوء والنظام تلقائيا فقال لا يضبط هؤلاء إلا أمر عظيم فسأل فإذا هو الإسلام فتعرف على الإسلام أكثر فأعجبه فأسلم .

الخطوة الثانية: القراءة والتأمل بحثا عن الحقيقة

وتعني القراءة الواعية للوحي والكون، وهي تحصل نتيجة التأثر بالمواعظ والمواقف، وهنا ينطلق المتأثر ليبحث في الوحي "كتابا وسنة"، وسيرة الرسول ﷺ والسلف الصالح ﷺ طلباً للهداية والنور، وبحثاً عن حقائق الحياة الكبرى، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1] ويتبع ذلك بالنظر والتأمل في الكون وما بث الله فيه من الأشياء والأحياء . . .

فالقرآن الكريم:

فيه خبر من قبلنا، ونبأ من بعدنا، وفصل ما بيننا، لذا يجد القارئ له المتدبر فيه، أجوبةً على كل تساؤلاته، وحلاً لكل مشكلاته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[2]

كل هذا ومع ذلك فلا خطأ في القرآن ولا ريب، ولا تناقض ولا تعارض، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[3] وقال ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[4] لذا تجد القارئ للقرءان الكريم بفهمٍ وتدبر، يستسلم لبيانه ويعترف بعظمته، ويقر بأنه ليس من

---

[1] () المائدة (١٥-١٦)

[2] () الإسراء (٩)

[3] () فصلت (٤١-٤٢)

[4] () النساء (٨٢)

قول البشر، وكيف لا يحدث هذا وأكثر منه والقرآن الكريم كلام الله الحكيم، وحبله المتين، وعروته الوثقى، قال ﷻ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وأما الحديث والسيرة:

ففيهما التفسير لما أبهم والتفصيل لما أجمل والجانب التطبيقي والعملي لما قرّره القرآن الكريم من قواعد ومبادئ قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2] والذكر هنا السنة المطهرة أنزلها الله على رسوله ﷺ ليبين بها القرآن الكريم لذا يجد القارئ للحديث الشريف وسيرة النبي الكريم ﷺ وصحابته ﷺ ما يدهشه ويحير لبه مما يراه من الروعة والكمال في التشريع وكذا النقاء والعظمة في أولئك الرجال الذين بلغوا أعلى مراتب المروءة والإنسانية والخلق الكريم لأنهم عملوا بما في الوحي وطبقوه على أرض الواقع وعلى رأسهم إمام المتقين محمد ﷺ الذي وصفه الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3] ثم جعله المثال الذي يحتذى والنموذج الذي يقتدى به فقال ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[4].

---

[1] () الحشر (٢١)

[2] () النحل (٤٤)

[3] () القلم (٤)

[4] () الأحزاب (٢١)

وأما التأمل في آيات الله المبثوثة في الكون:

فلا شك أن الإنسان العاقل الذي حركته المواعظ وأثرت فيه الأحداث والمواقف سيقف وقفات يتأمل فيها نفسه وما حوله لعله يصل إلى نتيجة تخرجه من المتاهة التي هو فيها وهذا هو النظر والتدبر في مخلوقات الله تعالى المبثوثة في هذا الكون الفسيح . . .

دعوة للتأمل [1]

قال الشيخ علي القرني: الله نصب لخلقه دلالات، وأوضح لهم آيات بيّنات، في الأنفس والأرضين والسماوات، قال ﷻ: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [2] وقال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [3] وقال ﷻ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [4] فتأملوا أيها الناس في السماء بغير عمدٍ ترونها، من رفعها؟ وبالكواكب من زيّنها؟ الجبال: من نصبها؟ الأرض: من سطحها وذللها وقال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [5] الطبيب: من أرداه وقد كان يرجى بإذن ربه شفاه؟ المريض وقد يُئس منه: من عافاه؟ الصحيح: من بالمنايا رماه؟ البصير: في الحفرة من أهواه؟ والأعمى في

---

[1] () من شريط دعوة للتأمل للشيخ علي القرني حفظه الله بتصرف

[2] () يونس (١٠١)

[3] () البقرة (١٦٤)

[4] () [الذاريات: ٢٠ – ٢١].

[5] () [الملك:١٥]

الزّحام: من يقود خُطَاه؟ الجنين في ظلماتٍ ثلاثٍ: من يرعاه؟ الوليد: من أبكاه؟ الثعبان: من أحياه والسُّم يملأ فاه؟! الشَّهد: من حلاَّه؟ اللبن: من بين فرث ودم من صفَّاه؟ الهواء تحسُّه الأيدي ولا تراه الأعين: من أخفاه؟ النَّبت في الصحراء: من أرْبَاه؟ البدر: من أتمَّه وأسراه؟ النخل: من شقَّ نواه؟ الجبل: من أرساه؟ الصخر: من فجَّر منه المياه؟ النهر: من أجراه؟ البحر: من أطغاه؟ الليل: من حاك دُجَاه؟ الصُّبح: من أسفره وصاغ ضحاه؟ النوم: من جعله وفاة، واليقظة منه بعثاً وحياة؟ العقل: من منحه وأعطاه؟ النحل: من هداه؟ الطير في جو السماء: من أمسكه ورعاه؟ وفي أوكاره من غذَّاه ونمَّاه؟

الجبار: من يقصمه؟ المضطَّر: من يجيبه؟ الملهوف: من يغيثه؟ الضال: من يهديه؟ الحيران: من يرشده؟ العاري: من يكسوه؟ الجائع: من يشبعه؟ الكسير: من يجبره؟ الفقير: من يغنيه؟ أنت أنت: مَنْ خلقك؟ من صوَّرك؟ من شق سمعك وبصرك؟ من سوَّاك فعَدَلك؟ من رزقك؟ من أطعمك؟ من آواك ونصرك؟ من هداك؟

إنه الله جلّ في علاه، الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هدى، والأدلة على وحدانيته ﷻ، وأنه المستحق للعبادة لا شريك له كثيرة لا تعد ولا تحصى، ولعل فيما تقدم كفاية لأولي الأحلام والنهى، فتبارك الله أحسن الخالقين، لا إله إلا هو!، أنت من آياته، والكون من آياته، والآفاق من آياته، والكل يشهد بوحدانيته في ربوبيته وألوهيته .

الحجب الثلاثة التي تحجب الناس عن الله ﷻ

فما الذي يحول بين الناس وبين العلم بالله وأن يوحدوه، ويقدروه حق قدره ﷻ، فيعظموا حرماته ويحفظوا فرائضه، ويقفوا عند حدوده ويعظموا شعائره؟ والجواب أن هناك حجباً كثيفة، تحول بين البعض وبين العلم بالله، والإيمان به وتعظيمه وهي مما كسبت أيدي الناس ولا ريب . . .

فأول هذه الحجب الغفلة عن الله:

التي تصيب العقل بالشلل عن المعرفة، والقلب بالعطل عن الإدراك فهمُّ أهل الغفلة ملء بطونهم وإشباع شهواتهم، والتمتع بما تتمتع به الأنعام قال ﷻ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [1]

وثاني هذه الحجب: التقليد:

والتقليد شر مستطير يفقد الإنسان شخصيته، فتجد صاحبه يفكر بعقل غيره، ويسمع بأذن غيره، وينطق من فيّ غيره، ذيل إمعة قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [2] فما العاقبة في الآخرة؟ العاقبة أن يتبرأ المتبوعون من الأتباع قال ﷻ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [3]

---

[1] () [الأعراف: ١٧٩].

[2] () [البقرة:١٧٠]

[3] () [البقرة: ١٦٦ – ١٦٧].

وحجاب ثالث: أكثف وأغلظ ألا وهو المكابرة والعناد، والعزة بالإثم:

هناك نوعية من الناس رخيصة يجادلون ليشوشوا لا ليفهموا، يلاججون ليغلبوا لا ليستمعوا قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾[1] فالمكابر والمعاند لا يقنعه دليل: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[2]

وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾[3] وقال ﷻ: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾[4]

وختاما أحبتي في الله:

الوحي المعصوم، وصفحات الكون المنظوم، مقنعة لمن يريد أن يقتنع، هادية لمن يريد أن يهتدي، مذكية لمن يريد أن يرتقي، إنهما كتاب ميسور، وآخر منظور، من تدبرهما وجد فيهما إجابات جليلة، ترفع يقينه، وتشفي عليله، وتحيي فؤاده، وتروي غليله، وتوقظ ضميره، وتدحض شبهته، وتطفئ شهوته، وترد الشيطان إلى كيد الوسوسة .

---

[1] [غافر:٦٩]

[2] [الأنعام:٧]

[3] [الحجر:١٤ – ١٥]

[4] [الأنعام:٢٥]

الخطوة الثالثة: معرفة الطريق واتجاه المسير[1]

لا شك أن من قرأ القرآن وتدبره ونظر في الكون وتأمله سيصل إلى المعرفة: معرفة الأصول والحقائق الأساسية التي لا يمكن لقلب أن يطمئن، ولا لنفس أن تسكن، إلا بمعرفتها، وهي: –

- معرفة الله ﷻ وأنه الرب القادر المدبر لشئون الخلائق المعبود الذي لا يستحق العبادة غيره الموصوف بالأسماء الحسنى والصفات العلى .
- ومعرفة رسول الله محمد ﷺ خاتم رسل الله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام جميعا .
- ومعرفة دين الله الذي جاء به رسل الله عليهم السلام من عند الله ﷻ والمتمثل في الإسلام دين التوحيد والعدل والإحسان .
- ومعرفة حقيقة الدنيا وما فيها، وأنها دار ممر، وميدان عمل، وأن الله استخلفنا فيها ليبتلينا فيما أعطانا .
- ومعرفة حقيقة الإنسان هذا الكائن الذي خلقه الله تعالى وكرمه وسخر له كل شيء في هذا العالم ليقوم بواجب العبودية لله فيسير في الأرض وفق منهج الله ﷻ في كل جوانب ومجالات الحياة .
- ومعرفة إلى أين المصير وأن بعد الموت بعث لإثابة المحسنين ومعاقبة المسيئين .

[1] (للتوسع انظر المسائل الهامة للمؤلف)

الخطوة الرابعة: الإيمان والتسليم

ما من شك أبداً أن من عرف الله ورسوله ودينه، وحقيقة الدنيا والآخرة، وعرف واجبه في هذه الحياة، اطمئن قلبه بالإيمان، وانشرح صدره للإسلام، هذا الدين المنطقي في عقائده وأحكامه، الذي لا يسع من عرفه بتجرد وإنصاف، إلا أن يقتنع به ويستسلم لحقائقه، قال ﷻ: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[1]

وكيف لا وهو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها قال ﷻ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2]

ما المقصود بالإيمان؟[3]

الإيمان لغة: له معنيان حسب الاستعمال؛ الأول: الأمن والثاني: التصديق، والمعنيان متداخلان فآمن، أي: أصبح داخلاً في الأمن وآمن أي: صدّق والتصديق يتضمن الأمن والأمان واختار بعض العلماء كلمة الإقرار بدلا عن التصديق وقال أنها أقوى في الدلالة على الإيمان .

الإيمان اصطلاحا: هو التصديق الجازم، والإقرار الكامل، والاعتراف التام؛ بوجود الله تعالى وربوبيته وأسمائه وصفاته، واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك اطمئناناً تُرى

---

[1] () سبأ (٦)

[2] () الروم (٣٠) .

[3] () من كتاب الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة إعداد عبد الله بن عبد الحميد الأثري بتصرف

آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، وأن محمد بن عبد الله ﷺ رسول الله، وخاتم النبيين، وقبول جميع ما أخبر به عن ربه وعن دين الإسلام؛ من الأمور الغيبية، والأحكام الشرعية، وبجميع مفردات الدين، والانقياد له بالطاعة المطلقة فيما أمر به، والكف عما نهى عنه وزجر؛ ظاهراً وباطناً، وإظهار الخضوع والطمأنينة لكل ذلك، فمسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة؛ كما أجمع عليه أئمتهم وعلماؤهم، هو: (تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية) وملخصه: (جميع الطاعات الباطنة كأعمال القلب، والظاهرة كأقوال اللسان وأفعال البدن من الواجبات والمندوبات)[1]

الإيمان بالله ﷻ يقتضي (الحب والخوف والرجاء)

- ✓ العارف الحقيقي يجد في قلبه حبا لله ﷻ الذي أوجدنا من العدم وأسبغ علينا النعم ودفع عنا النقم هذا الحب يلح عليه من داخله أن يسعى لإرضاء الله بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ليحظى برضوانه تعالى وحبه في الدنيا والآخرة قال ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[2].
- ✓ ويجد في قلبه خوفا من الله جل في علاه لأنه صاحب القوة والقدرة وبيده النفع والضر هذا الخوف يدفعه للعمل بما يرضي الله وترك ما يغضبه ويسخطه حتى يسلم من عذاب الله وعقابه في الدنيا والآخرة قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

[1] () انتهى الاقتباس من كتاب الإيمان حقيقته خوارمه . . .
[2] () البقرة – الآية ١٦٥

ﷺ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[1] .

- ✓ ويجد في قلبه رجاء في عطاء الله لأن عنده ﷻ خزائن كل شيء هذا الرجاء يدفعه للسعي في مرضات الله طلبا لمزيد عطائه وحرصا على الآءه في الدنيا والآخرة قال ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

[1] () فاطر – الآية ٢٨

الخطوة الخامسة: العزم على الاستقامة مع الاستعانة بالله ﷻ

هذه هي الخطوة التي تلي الإيمان والتسليم لأن من آمن حق الإيمان لا شك سيعزم على الاستقامة مع العلم يقينا أن العزم على الاستقامة ليس مجرد أمنية يتمناها الإنسان بل هو قرار داخلي يتخذه العبد المريد للاستقامة بينه وبين الله في أن يصلح حاله وذلك بأن يفر إلى الله ﷻ من الوضع الحالي الانحراف "كفر أو فسوق أو عصيان" إلى وضع يرضاه الله تعالى "الإيمان والاستقامة" قال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[1] والفرار إلى الله يعني التوبة وهي نوعان:

١) **توبة عامة:** يقرر التائب فيها ترك القناعات والاهتمامات والقدوات والعلاقات والتصرفات السيئة إلى عكسها بمعنى: أن الكافر يقرر أن يسلم والفاسق والعاصي يقررا أن يتوبا تاركين ما هم فيه من السوء نادمين عليه عازمين على عدم العودة إلى ما كانوا فيه من الانحراف بعد أن أنقذهم الله ﷻ منه .

٢) **توبة خاصة:** يقرر المريد فيها بأنه إذا أذنب ذنبا بعمل حرام أو ترك واجب تاب إلى الله تعالى وفق الخطوات التالية:

أ- الندم على ذلك الذنب يظهر ذلك من خلال ألمه وحزنه وتضايقه مما وقع فيه قال تعالى حاكيا عن حال أبينا آدم وأمنا حواء عليهما السلام عقب أكلهما من الشجرة: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]

---

[1] () الذاريات (٥٠)

[2] () الأعراف (٢٣)

ب- الإقلاع عن الذنب فورا حياء من الله وخوفا منه مع الاستغفار وهو طلب المغفرة من الله ﷻ قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1]

ت- العزم الأكيد على عدم العودة لهذا الذنب قال ﷺ: ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: . . . وذكر أن يكره أن يعود إلى المعاصي بعد أن أنقذه الله منها كما يكره أن يقذف في النار))[2]

ث- رد الحقوق إلى أهلها وطلب السماح ممن أسأت إليه في حال كان الذنب متعلقا بالخلق.

ج- إتباع السيئة أو الذنب بالعمل الصالح والإكثار من الحسنات واعتقاد أن ذلك مما يمحو السيئات ويذهب وزرها وإثمها قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾[3] وفي الحديث قال ﷺ: ((وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن))[4]

---

[1] () آل عمران (٣٥).

[2] () متفق عليه.

[3] () هود (١١٤)

[4] () صحيح الترمذي وأحمد وغيرهما.

والتوبة لها شروط بالإضافة إلى ما تقدم وهي:

١) أن يعمل الذنب ويقع في الخطأ بجهالة نقل القرطبي عن قتادة رحمه الله قوله: ((أجمع أصحاب النبي ﷺ أن كل معصية فهي بجهالة عمدا كانت أو جهلا وقال بعض السلف الجهالة الجهل بعاقبة الذنب في الدنيا والآخرة))[١] قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣]

٢) أن يتوب من قريب والمعنى يشمل أمرين:

الأول: بعد وقت قريب من الوقوع في الذنب

الثاني: قبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها

وهذان القولان هما مجموع كلام السلف ﷺ في تفسير "من قريب" لكن هناك مشكلة وهي أن الإنسان لا يعلم متى يفآجأه الأجل لذا يجب عليه أن يتوب من قريب على القول الأول نسأل الله حسن الخاتمة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٤]

٣) أن يتوب قبل الموت لأن التوبة عند الموت لا تقبل قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٥] وقال ﷺ: ((إن الله يقبل توبة العبد ما لم

---

[١] () انظر تفسير القرطبي

[٢] () النساء (١٧)

[٣] () النحل (١١٩)

[٤] () النساء (١٧)

[٥] () النساء (١٨)

يغرغر))[1]

٤) عدم الإصرار على الذنب بمعنى أن يكون الدافع على الذنب غلبة الهوى وضعف النفس وليس التجاهل لأمر الله والاحتقار للذنب قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2]

[1] () حسن أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وهو في صحيح الجامع

[2] () آل عمران (١٣٥)

وأما الاستعانة بالله فلازمة

- لأنه لولا فضل الله ورحمته ما آمن أحد ولا استقام قال ﷻ: ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] لذا يقرأ المصلي في كل ركعة من كل صلاة قول الله ﷻ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وكان من دعاء النبي ﷺ في سجوده: ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك))[2] وكان من دعائه ﷺ أيضا: ((اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها))[3]
- ولأن من دعا الله ﷻ بعد مجاهدته لنفسه وحرصه على الهداية وبذله الأسباب في سبيل ذلك فلا شك وأن الله سيعينه ويوفقه وينصره على نفسه والشيطان قال تعالى في الحديث القدسي يعد عباده بذلك: ((يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم))[4]

---

[1] () النور – الآية ٢١
[2] () صحيح أخرجه الترمذي وغيره وهو في صحيح الجامع
[3] () رواه مسلم
[4] () أخرجه مسلم

الخطوة السادسة: الصبر والهجر الجميل

وهذا لازمٌ جداً لأن الإنسان إذا استقام وهجر ما نهى الله عنه من الأقوال والأفعال وابتعد عن جلساء السوء وتبين للناس تغير حاله فلا بد أن يواجه بالأذى وأقله كلمات النقد اللاذعة والسخرية والاستهزاء هذه سنة الله تعالى في عباده قال ﷻ: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[1]

كيف يكون الإيذاء ؟

- يكون الإيذاء بالتخويف والتهديد كما قال تعالى على لسان أصحاب القرية: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] وكما قال ﷻ حاكيا عن الملأ من قوم شعيب: ﴿ ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾[3]
- أو بالسخرية والتشويه قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ

---

[1] () العنكبوت (٢-٣)
[2] () يس – الآية ١٨ق
[3] () الأعراف – الآية ٨٨

قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴾[1]

- أو بالتشكيك والتلبيس على هذا الناشئ الذي قرر الالتزام بتعاليم الدين الحنيف، وطبعا سيتأثر الضعيف المتردد، أما غيره فلا، قال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾[2]

لأن الإيذاء أيا كان، لا يضر المؤمنين الصادقين ولا يؤثر فيهم، قال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[4] والمعنى يخوفكم بأوليائه . .

الناس على قسمين أمام هذا الإيذاء:

- **الأول:** يتأثر بالوعد والوعيد والإغواء والإغراء والسخرية والاستهزاء فيتراجع عما كان قد نوى فعله وعزم على السير إليه فيعود إلى ما كان عليه أو أسوأ ويبرر هذا النكوص والتراجع والانقلاب على العقب بمبررات واهية لاتسمن ولا تغني من جوع قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي

[1] () المطففين – الآية ٣٠
[2] () الحج (٥٣)
[3] () آل عمران – الآية ١١١
[4] () آل عمران (١٧٥)

صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾[1]

- **الثاني:** لا يتأثر بالإيذاء ولا يأبه له أيا كان لأنه قد عرف طريق الكرامة في الدنيا والآخرة فقرر عازما متوكلا على الله مواصلة السير في طريق الهداية "الطريق المستقيم" حتى يلقى الله على ذلك مهما كانت المعوقات والعراقيل قال ﷻ على لسان من آمن قديما: – ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾[2] . . .

[1] () العنكبوت (١٠)

[2] () طه (٧٢)

كيف ينبغي التعامل مع الإيذاء في هذه المرحلة؟

على المؤمن الصادق الذي عزم على الاستقامة أن يعيش أجواء الإيذاء في إطار الصبر الجميل وهو: الذي ليس فيه شكوى لأحد متحملا ما يقولون من السخرية والاستهزاء والهمز واللمز محتسبا الأجر لسان حاله ومقاله "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون" ثم عليه أن يعرض عنهم ويهجرهم هجرا جميلا تاركا الانتقام منهم لأن الله سيتولى الدفاع عنه وسيفعل بالمؤذين ما يستحقونه من الرحمة والهداية أو السخط والعذاب لأنه ﷻ قال: ﴿وذرني والمكذبين﴾ متبعا لرسول الله ﷺ الذي نفذ أمر الله ﷻ بذلك حين قال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾[1]

قد يتساءل إنسان فيقول لماذا الإيذاء ؟

فأقول إن لهذا الإيذاء حكم جليلة لعلّ من أهمها:

- أنه إذا كان الله تعالى يفرح بتوبة عبده إذا تاب فإن الشيطان على العكس يتضايق جدا إذا ما عزم إنسان على مغادرة الشر والسوء ولزوم طريق الخير والاستقامة لذا يستخدم أولياءه من المنحرفين لتثبيط وإعاقة هذا المريد للاستقامة لعله يغير رأيه ويتراجع عن قراره .
- هذا الإيذاء امتحان قبول لهذا السالك الجديد يثبت من خلاله هل نوى الاستقامة فعلا أم أن ذلك مجرد ادّعاء أو تأثر وقتي لسبب معين سرعان ما يزول قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[2] .

---

[1] () المزمل

[2] () العنكبوت (٣)

الخطوة السابعة: الالتحاق بالصالحين

لا يكفي أن يترك الإنسان الإساءة وأهلها وما يذكر بها، بل لا بدّ عليه لزاما أن يبحث عن جلساء ملتزمين، وأصدقاء صالحين في عقيدتهم وأفكارهم، صالحين في اهتماماتهم، صالحين في علاقاتهم، صالحين في تصرفاتهم، وجماع ذلك أنهم يأتمرون ويأمرون بما أمر الله به، وينتهون وينهون عما نهى الله عنه، ليلتحق بهم فيستأنس برفقتهم، ويتعاون معهم على البر والتقوى، قال ﷻ آمرا نبيه ﷺ والأمر له أمر لأمته من بعده: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاوةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾[1] وقال ﷻ في أمر واضح وصريح: ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2]

ثمرة الرفقة الطيبة والصحبة الصالحة:

١) الاستقواء بهم على الشيطان الرجيم لأن الإنسان لوحده لا يستطيع الثبات أمام مكائد الشيطان وحيله قال ﷺ: ((أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب . . عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة،))[3]

وفي حديث أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من ثلاثة–في

---

[1] () الكهف (٢٨)

[2] () لقمان (١٥)

[3] () (صحيح) أخرجه [أحمد والترمذي والحاكم] عن عمر ﷺ انظر الصحيحة وصحيح الجامع للألباني

قرية ولا بَدْو- لا تقام فيهم الصلاة؛ إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة؛ فإنما يأكل الذئبُ من الغنم القاصية))[1]

قال زائدة: قال السائب: يعني بالجماعة: الصلاة في الجماعة .

٢) الأنس بهم والتعاون معهم على العلم والعمل والدعوة قال ﷻ: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2] وقال تعالى أيضا: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[3] وقال ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[4] .

---

[1] () قال النووي: "إسناده صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن خزيمة وابن حبان في "صحيحيهما" والألباني في صحيح أبي داود .

[2] () سورة العصر

[3] () البقرة (٤٣)

[4] () المائدة (٢)

الخطوة الثامنة: طلب العلم الواجب

بعد الالتحاق بالصالحين، يجب على سالك طريق الاستقامة أن يطلب منهم أن يعلموه، أو يدلوه على من يعلمه، ما يجب عليه معرفته والعلم به من أمور الدين، لتكون استقامته على بصيرة قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1] وقال ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[2] وقال ﷺ: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم))[3]

ما هو العلم الواجب على كل مسلم تعلمه؟

نقل ابن عبد البر بسنده إلى بن المبارك عنه رحمه الله أنه سأل: ما الذي لا يسع المؤمن من العلم إلا أن يطلبه؟ وما الذي يجب عليه أن يتعلمه؟ قال: «لا يسعه أن يقدم على شيء إلا بعلم ولا يسعه حتى يسأل» قال أبو عمر: "قد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ . . إلى أن قال: والذي يلزم الجميع فرضه من ذلك ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه نحو الشهادة باللسان والإقرار بالقلب بأن الله وحده لا شريك له ولا شبه له ولا مثل له ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾ خالق كل شيء وإليه يرجع كل شيء، المحيي المميت الحي الذي لا يموت عالم الغيب والشهادة هما عنده سواء لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء هو الأول والآخر والظاهر والباطن، والذي عليه جماعة أهل السنة والجماعة أنه لم يزل بصفاته وأسمائه ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء، هو على العرش استوى، والشهادة بأن محمدا عبده

---

[1] () العلق – الآية ١

[2] () محمد (١٩)

[3] () صحيح الجامع وغيره

ورسوله وخاتم أنبيائه حق وأن البعث بعد الموت للمجازاة بالأعمال، والخلود في الآخرة لأهل السعادة بالإيمان والطاعة في الجنة، ولأهل الشقاوة بالكفر والجحود في السعير حق وأن القرآن كلام الله وما فيه حق من عند الله يلزم الإيمان بجميعه، واستعمال محكمه وأن الصلوات الخمس فريضة ويلزمه من علمها علم ما لا تتم إلا به من طهارتها وسائر أحكامها وأن صوم رمضان فرض، ويلزمه علم ما يفسد صومه، وما لا يتم إلا به، وإن كان ذا مال، وقدرة على الحج لزمه فرضا أن يعرف ما تجب فيه الزكاة ومتى تجب وفي كم تجب ولزمه أن يعلم بأن الحج عليه فرض مرة واحدة في دهره إن استطاع السبيل إليه إلى أشياء يلزمه معرفة جملها ولا يعذر بجهلها نحو تحريم الزنا وتحريم الخمر وأكل الخنزير وأكل الميتة، والأنجاس كلها والسرقة والربا والغصب والرشوة في الحكم، والشهادة بالزور، وأكل أموال الناس بالباطل وبغير طيب من أنفسهم إلا إذا كان شيئًا لا يتشاح فيه ولا يرغب في مثله، وتحريم الظلم كله وهو كل ما منع الله عز وجل منه ورسوله ﷺ وتحريم نكاح الأمهات والبنات والأخوات ومن ذكر معهن، وتحريم قتل النفس المؤمنة بغير حق، وما كان مثل هذا كله مما قد نطق به الكتاب وأجمعت الأمة عليه.[1]

وقال ابن القيم رحمه الله: "ثم إن العلم بالمفروض تعلمه ضربان ضرب منه فرض عين لا يسع مسلما جهله وهو أنواع:

- النوع الأول علم أصول الإيمان . . . فالإيمان بهذه الأصول فرع معرفتها والعلم بها .
- النوع الثاني علم شرائع الإسلام واللازم منها علم ما يخص العبد من فعلها كعلم الوضوء والصلاة والصيام والحج والزكاة وتوابعها وشروطها ومبطلاتها .

---

[1] انظر جامع بيان العلم وفضله باب قوله ﷺ طلب العلم فريضة

- النوع الثالث علم المحرمات الخمسة التي اتفقت عليها الرسل والشرائع والكتب الإلهية وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] فهذه محرمات على كل واحد في كل حال على لسان كل رسول لا تباح قط ولهذا أتى فيها بإنما المفيدة للحصر مطلقا .
- النوع الرابع علم أحكام المعاشرة والمعاملة التي تحصل بينه وبين الناس خصوصا وعموما والواجب في هذا النوع يختلف باختلاف أحوال الناس ومنازلهم" .[2]

والخلاصة أنه يجب على المسلم أن يتعلم ما يلي:

- أصول الدين ومبادئه الأساسية "ما يتعلق بالشهادتين وأركان الإيمان"
- ويتعلم كيف يتطهر وكيف يصلي
- ويتعلم الأخلاق والآداب الإسلامية
- ويتعلم كيف يزكي إن كان له مال
- ويتعلم كيف يصوم
- ويتعلم كيف يحج إن استطاع إليه سبيلا
- ويتعلم كيف يتعامل مع الأحياء والأشياء من حوله
- ويتعلم ما يحتاج إليه من أحكام الحلال والحرام "ليفعل الحلال ويترك الحرام"

---

[1] () الأعراف – الآية ٣٣

[2] () ملخص من أول كتابه مفتاح دار السعادة.

وهكذا كلما وجب عليه فعل شيء وجب عليه قبل ذلك تعلمه ليكون العمل صالحا صحيحا موافقا لشرع الله ﷻ وهدي نبيه ﷺ .

كيف يتم تحصيل العلم الواجب؟

- بحضور حلقات أهل العلم، لأخذ العلم عنهم صافيا، سليما من تأويلات الجاهلين، وتحريفات الغالين، وانتحال المبطلين، وللاستفادة من أخلاقهم وآدابهم .
- ثم بعد إتقان الأصول لا بأس بقراءة وسماع ما يدله عليه أهل العلم من المفيد النافع في كل أقسام الدين فإن صعب عليه فهم شيء فليبادر إلى أهل العلم ليسألهم استجابة لأمر الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]

ملاحظة هامة جداً

- لا يستغنى بقراءة الكتب وسماع دروس العلماء عن الحضور بين أيديهم ومجالستهم للاستفادة من سمتهم وهديهم وتأديبهم وتهذيبهم وكذا ضبط الفهم الصحيح لذا قال العلماء: "من كان شيخه كتابه كان خطأه أكثر من صوابه" وقالوا أيضا: "لولا المربي ما عرفت ربي، ومن ليس له شيخ فليس له مولى ومن ليس له مولى فالشيطان به أولى" .

[1] () الأنبياء (٧)

الخطوة التاسعة: عمل الصالحات وترك المنكرات

هذه هي الخطوة الأخيرة التي يريد كل سالك لطريق الاستقامة أن يصل إليها وهي تعقب خطوة طلب العلم مباشرة لأن بعد العلم عمل لذا لزم كل من عرف طاعة أمر بها الله ﷻ أو رسوله ﷺ أن يعمل بها استجابة لأمر الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[1] ومن عرف معصية نهى الله ورسوله عنها أن يتركها قال ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3]

ما المقصود بعمل الصالحات وترك المنكرات؟

طاعة الله ورسوله لا يقصد بها عمل معين في مجال من مجالات الدين والدنيا بل يقصد بها كل الأعمال الصالحة في كل الجوانب والمجالات:

- فالإيمان والتوحيد من أوجب الواجبات وأفضل الطاعات.
- والشعائر من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وذكر لله وقراءة للقرآن أعمال صالحة يلزم القيام بها والإقبال عليها بإخلاص لله ﷻ ومتابعة للرسول ﷺ.
- والأخلاق الكريمة كالصدق والأمانة والوفاء والكرم والرحمة والحب والإحسان والعفو واحترام الكبير والعطف على الصغير واجتناب ما يخالفها أعمال صالحة

---

[1] () محمد (٣٣)
[2] () الحشر – الآية ٧
[3] () التوبة – الآية ١٠٥

يلزم القيام بها والإقبال عليها .

- والتزام الشرع في المعاملات من بيع وشراء ونكاح وطلاق وحرب وسلم وحكم وقضاء أعمال صالحة يلزم القيام بها والإقبال عليها .
- والدعوة إلى الله ونفع الناس وتعليمهم وقضاء حوائجهم ومساعدة من يحتاج إلى مساعدة كل ذلك طاعات وقربات يلزم الإقبال عليها والتزود منها .
- وهكذا في سائر الطاعات والقربات في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق.
- وبالمقابل المنكرات يتركها وينفر عنها سواء كانت صغيرة أو كبيرة في كل المجالات.

مراحل الاستقامة:

هذا وليعلم كل مريد للاستقامة أنه لا بد أن يمر بمراحل وهو يرتقي في الطريق إلى الله ﷻ:

- ❖ الأولى مرحلة التكلف والمعاناة والصبر والمجاهدة لأن النفس هنا أمارة بالسوء لم تذق حلاوة الإيمان بعد .
- ❖ الثانية مرحلة الإلف والاعتياد والنفس هنا لوامة تحتاج إلى عناية ومتابعة .
- ❖ الثالثة مرحلة اللذة والحلاوة والأنس بالطاعة والوحشة من المعصية لأن النفس هنا صارت مطمئنة .

ملاحظة:

ليس لأي مرحلة من المراحل زمن معين، بل يرجع ذلك إلى صدق النية من المريد، ومقدار الجهد المبذول من السالك، لأنه من جاهد نفسه في الله هداه، ومن آمن واهتدى زاده الله هدى وآتاه تقواه، فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا كريم .

مراتب الاستقامة:

ليس الناس على مستوى واحد من الالتزام والاستقامة بل يتفاوتون في ذلك كل بقدر يقينه وعمله كما قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[1] لذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى التقوى ثلاث مراتب:

١) مرتبة الناجين من العذاب "مقتصد"

وتكون بالالتزام بفعل الواجبات وترك المحرمات وهذا يعطي القلب حياته ويحفظه من الموت.

٢) مرتبة الفائزين "سابق بالخيرات"

وتكون بالالتزام بفعل النوافل والقربات وترك المكروهات وهذا يعطي القلب صحته ويحفظه من المرض.

٣) مرتبة المقربين "أئمة السابقين"

وتكون بالالتزام بترك فضول المباحات وما لا يعني وهذا يعطي القلب فرحه وسروره وبهجته.

هذه مراتب الاستقامة فمن نزل عن درجة الناجين من العذاب دخل ضمن الظالمين لأنفسهم وهم كذلك يتفاوتون فمنهم الظالم لنفسه بالكفر ومنهم الظالم لنفسه بالفسوق ومنهم الظالم لنفسه بالعصيان نعوذ بالله من الخذلان ونسأله الرشاد والسداد .

---

[1] () فاطر – الآية ٣٢

أخي الكريم أختي الكريمة:

عرفت فالزم وعلمت فاعمل قل آمنت بالله ثم استقم كما أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ لا كما تهوى نفسك قال الله تعالى:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]

- فاستقم كما أمرت في عقيدتك
- استقم كما أمرت في عبادتك
- استقم كما أمرت في أخلاقك
- استقم كما أمرت في آدابك
- استقم كما أمرت في بيعك وشراءك
- استقم كما أمرت في سائر تعاملاتك
- استقم كما أمرت في شدتك ورخاءك
- استقم كما أمرت في كل مكان ومقام وعلى كل حال .

[1] () هود (١١٢)

علامات قبول التوبة وصحة الاستقامة

قرأت في هذا كثيرا لعلماء السلف والخلف ﷺ فوجدت أن لقبول التوبة وصحة الاستقامة علامات تدل عليها وأن الصالح الحقيقي لا بد وأن يتصف بصفات لخصت كل ذلك في النقاط الآتية:

- ❖ أن يباعد أهل الغفلة والمعاصي وينقطع عن أصدقاء السوء ويريهم هيبة من نفسه.
- ❖ أن يخالط الصالحين ويقارب أهل الخير ويحرص على مجالستهم ويحبهم ويقبل عليهم.
- ❖ أن يكون كارها للمعاصي نافرا عنها يترك كل الذنوب وينقطع عن كل المعاصي وإن مسه طائف من الشيطان في لحظة ضعف سرعان ما يتذكر ويلوم نفسه.
- ❖ أن يكون محبا للخير حريصا عليه يقبل على الطاعات ويتزود منها وإن أحس أنه قصر في شيء من الطاعات تحسر واستغفر واستدرك حتى لا يفوته شيء ثانية.
- ❖ أن يذهب حزن الدنيا من قلبه "يعني أن هم الدنيا ليس له أولوية عنده" لذا تجده يعطي وينفق مما عنده ولو كان قليلا ولا يقدم عمل الدنيا على عمل الآخرة إن تعارضا ولا يشغله شيء مهما كان عن طاعة الله وعبادته.
- ❖ أن يحل في قلبه هم الآخرة فيتعامل معها بالحرص والتعجيل فلا يؤخر عملا صالحا ولا يسوف توبة بل يسارع في الخيرات والصالحات علما وعملا ودعوة كيف ما كانت ظروفه وفي أي مكان كان .
- ❖ أن يكون حافظا للسانه عن السوء وحتى الفضول من الكلام "وهو ما لا فائدة فيه" حريصا على الصدق وقول الحق ولو على نفسه.
- ❖ أن تستوي عنده المحمدة والمذمة لأنه قطع رجاءه عما في أيدي الناس وتعلق بالله

تعالى يقدم محابه ويحرص على مرضاته لأنه يعلم يقينا أن بيده مقاليد الأمور وله ملكوت كل شيء .

- ❖ لا يحب أحدا ولا شيئا بغير حق وكذا لا يكره شيئا أو أحدا ظلما لذا لا يخرجه غضبه إذا غضب عن الحق والصواب.
- ❖ أن يكون حريصا على الخلق نافعا لهم حسن التعامل معهم ينصحهم ويداريهم.
- ❖ يثق بوعد الله تعالى ووعيده لذا تجده شاكرا عند المنحة صابرا عند المحنة .
- ❖ أن يتعرض لنفحات الله تعالى وهي مواسم الخير التي جعلها الله ﷻ فرصة لعباده وضاعف فيها الأجور والحسنات والتعرض لها يعني استغلالها كما ينبغي للحصول على ثوابها بالإقبال على الله تعالى والمسارعة في الخيرات وترك المنكرات هذه المواسم كثيرة:
  - فمنها ما هو يومي كأوقات الصلاة وبين الأذان والإقامة وعقب الصلوات ووقت السحر وغيرها .
  - ومنها ما هو أسبوعي كيوم الجمعة وليلتها وكذا عند حضور محاضرة أو سماع درس وما شابه.
  - ومنها ما هو سنوي كشهر رمضان وعشر ذي الحجة وخاصة يوم عرفة ويومي العيدين وأيام التشريق.
  - ومنها ما هو مرة في العمر كالحج وهكذا .

مشكلات في طريق الاستقامة

مشكلة الغلو والتطرف:

الغلو: مجاوزة الحد المسموح به ويطلق غالبا على الزيادة فيقال غلا السعر إذا زاد وارتفع وغلا جاوز الحد . وأما التطرف: فهو الأخذ بطرف يعني الميل إلى جهة فإن كان الميل إلى جهة الزيادة سمي إفراطا وإن كان الميل إلى جهة النقصان سمي تفريطا .

والغلو والتطرف مشكلة كبيرة في طريق المستقيمين خاصة الجدد منهم، ومن لا علم عندهم، ولا خبرة لديهم، هؤلاء قد يجعلهم التطرف في الدين يضلون ضلالا بعيدا عن الصراط المستقيم إما بالزيادة وإما بالنقصان، وهذا هو الهلاك الذي حذر منه المصطفى ﷺ حين قال: ((إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين))[1]

فأما الإفراط:

فكالذي يشدّد على الناس في الدين وذلك بجعل المستحب في مستوى الواجب، والمباح في مستوى المكروه، والمكروه في مستوى المحرم، دون أن يوضّح لهم أن هذا من الورع، ومثله الذي يحمل نفسه ما لا تطيق، وكالذي لا يفرق بين صغائر الذنوب وبين الكبائر وبين ما يخرج من الملة . .

أمثلة على الإفراط:

١) الثلاثة الذين سألوا عن أعمال رسول الله ﷺ فكأنهم تقالوها "رأوها قليلة" وقالوا

[1] صحيح أخرجه النسائي وابن ماجه وأحمد

أين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم أما أنا فأصلي الليل أبدا وقال الآخر وأنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال الآخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني: أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني))[1] يعني أن النبي ﷺ يلتزم الشرع، فيصوم الفرائض والنوافل، ويفطر في سائر الأيام، ويقوم الليل ليتهجد، ويرقد أيضاً، ويتزوج النساء، لأن الزواج مشروع وخير الهدي هديه ﷺ.

٢) والمرأة العجوز التي وجدها النبي ﷺ عند عائشة رضي الله عنها فسألها من هذه يا عائشة؟ فقالت هذه فلانة وذكرت صلاتها وصيامها "أي أنها تكثر من النوافل فوق ما تطيق" فقال ﷺ: ((مه عليكم من العمل بما تطيقون فو الله لا يمل الله حتى تملوا))[2].

وأما التفريط:

فمثل الذي يجاهر بقبول بعض قيم الدين ومبادئه ورفض أخرى بحجة أن الدين لا يتدخل فيها خاصة تلك التي تنظم شئون الناس السياسية والاقتصادية والاجتماعية كالحكم بالشريعة وحجاب المرأة وما شابه قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3] **ومثل الذي لا يهتم بحفظ دينه من** الاعتقاد السليم

---

[1] متفق عليه

[2] رواه البخاري وغيره

[3] البقرة – الآية ٨٥

وإقامة الفرائض وترك المحرمات ومع ذلك يعتقد أنه على الصواب دون أن يشعر بالذنب أو يفكر بالتوبة قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[1]

والأصل الوسطية والاعتدال قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2] **والوسطية هي الاستقامة على دين الله** بفعل ما أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ وترك ما نهى الله عنه ورسوله قال تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[3] تأمل يرحمك الله قوله ﴿ ولا تطغوا ﴾ أي ولا تزيدوا أو تنقصوا على ما أمرتم به. وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[4] والتسديد والمقاربة معناه: أن يفعل ما بوسعه وما يقدر عليه حريصا على مقاربة الكمال ما استطاع قال ﷻ: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾[5] وفي الحديث قال ﷺ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»[6] مع العلم يقينا أن الله ﷻ ما فرض علينا إلا ما نقدر على فعله،

---

[1] () مريم (٥٩)

[2] () البقرة – الآية ١٤٣

[3] () هود – الآية ١١٢

[4] () رواه البخاري والنسائي [تعليق مصطفى البغا] [ش (يسر) ذو يسر. (يشاد الدين) يكلف نفسه من العبادة فوق طاقته والمشادة المغالبة. (إلا غلبه) رده إلى اليسر والاعتدال. (فسددوا) الزموا السداد وهو التوسط في الأعمال. (قاربوا) اقتربوا من فعل الأكمل إن لم تسطيعوه. (واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة كأول النهار وبعد الزوال وآخر الليل]

[5] () التغابن – الآية ١٦

[6] () أخرجه أحمد ومسلم وغيرهما

وما حرم علينا إلا ما نقدر على تركه، لذا تجد أن الزكاة لا تجب على من لا يملك نصاب المال، والحج لا يجب على من لا يستطيعه وترك الجهاد للمعذور لا حرج فيه والقيام في الصلاة يسقط عن العاجز وهكذا قال تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[1].

[1] () البقرة – الآية ٢٨٦

مشكلة منع الأهل من الالتحاق بالصالحين:

من الملاحظ في بعض الأسر أنه إذا قرر أحد من أبنائهم الالتحاق بالصالحين تجدهم يمنعونه من ذلك وبقسوة أحيانا والسبب في نظري من خلال استقراء الواقع ما يلي: –

- ضعف الاهتمام بأمر الدين فالمهم عند بعض الآباء أن يدرس ولده أو يشتغل أما مجالسة الصالحين فماذا تنفعه وماذا يجني منها هكذا يظنون.
- سلبية بعض المتدينين وانزوائهم عن الحياة العلمية والعملية تجعل بعض الآباء يعممون الحكم على الكل فيخافون على أولادهم إن التحقوا بهم أن يكونوا مثلهم وهذا غير واقعي لأننا نرى غالبا أن أنجح الناس هم المتدينون وإن وجد من هو مقصر فهو نادر والنادر لا حكم له .
- كثرة انشغال الوالد مع عدم وجود من يساعده إلا أولاده فيشغلهم معه ولو على حساب أمور هامة كتعلم أمور الدين ومجالسة الصالحين .
- سوء الظن بالصالحين تأثرا بالشائعات التي تبثها وسائل الإعلام وأجهزة المخابرات وأبواق العلمانية والشيوعية وغيرهم من المنافقين في كل مكان منذ سقوط دولة المسلمين الواحدة
- هناك آباء يكرهون التدين لأنهم يعتبرونه قيودا تمنعهم من الانطلاق في حياتهم للاستمتاع بها لذا يريدون لأولادهم أن يعيشوا حياتهم هكذا يسول لهم الشيطان لأنهم لا يعرفون حقيقة التدين ومدى السعادة والمتعة التي يجلبها لصاحبه.
- خوف بعض الآباء على أبنائهم إذا جالسوا الصالحين من لوم بعض الناس أو إيذائهم لهم في دراستهم أو في وظائفهم.

والآن وبعد معرفة الأسباب دعونا نتدارس المسألة لنجد لها حلا شرعيا واقعيا يناسب الآباء والأبناء معا على شكل نصائح للآباء وتوجيهات للأبناء:

أولاً نصائح للآباء: –

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1] وقال ﷺ: ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل راع في أهل بيته ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها))[2]

من خلال هذين الدليلين وبناء عليهما أنصح بالتالي:

- على الآباء أن يعتنوا بأبنائهم دينيا ودنيويا ومن الدين أن يعلموهم ما يجب عليهم من معرفة الأصول والأحكام ولن يكون ذلك إلا بالسماح لهم بالدراسة في المساجد وحلقات المشايخ لأن التعليم النظامي لم يعد كافيا لأنه يختار من الدين جوانب لا تبني الشخصية الإسلامية ولا المجتمع المسلم هذا إن لم يكن قد منع نهائيا كما في بعض بلاد الإسلام للأسف الشديد .
- على الوالدين تحمل مسؤولية أولادهم فلا يجوز منعهم من صحبة الصالحين والملتزمين ولا يجوز السماح لهم بصحبة الأشرار والمنحرفين مهما كانت المبررات والدواعي.
- على الآباء أن يتابعوا أولادهم ولا بأس أن يتعرفوا على أصدقائهم وأساتذتهم ولو بحضور بعض الدروس والمشاركة بالإشراف على بعض الأنشطة ولا أظن أستاذا صالحا واثقا من نفسه يمنع من ذلك بل يفرح به.

---

[1] () التحريم – الآية ٦

[2] () متفق عليه

- ليعلم الآباء أن صلاح أبناءهم ينفعهم في الدنيا لأنهم سيكونون بارين بهم طائعين لهم وفي الآخرة لأن حسنات تربيتهم تضاف إلى رصيدهم ثم إنهم سيدعون لهم في حياتهم وبعد مماتهم.

هذا في حال كان الأهل يحبون الإسلام والمسلمين وعلى رأسهم العلماء والصالحين "أما إن كانوا غير ذلك فذاك أمر آخر يحتاج إلى بيان ليس هذا مكانه ولا أوانه "

ثانياً توجيهات للأبناء: –

- على الأبناء أن لا ينزعجوا من صنع الآباء لأن الدافع لهم على ذلك الخوف على أولادهم والحرص عليهم.
- على الأبناء أن يلتحقوا بالصالحين في منطقتهم ممن يعرفونهم ويثقون بهم علما وعملا فكرا وسلوكا وإن كانوا خارج منطقتهم فعن طريق من يدلهم عليهم صالحوا منطقتهم وينصحونهم بالأخذ عنهم والتعلم منهم.
- عليهم أن يعلموا أن الدين الصحيح غالبا هو دين العامة "عامة المسلمين في كل مكان" فإذا رأوا أن الذي يعلمهم يأتي بجديد مخالف لما عليه عامة المسلمين ومشاهير علماءهم ودعاتهم في كل الدنيا فعليهم حينئذ أن يتوقفوا ليسألوا من سبقهم من أهل العلم والإيمان الموثوق بهم والمعتمد عليهم حتى لا ينزلقوا من حيث لا يشعرون.
- على الولد أن لا يستعجل بإظهار استنكاره لما يراه من منكرات في بيته حتى يسأل

أهل العلم ماذا يفعل وكيف ومتى.

- على الولد أن يحسن التعامل مع والديه ويبذل جهدا إضافيا في دراسته وعمله لأن هذا هو التدين أولا وحتى لا يسمح لأحد أن يلومه على تدينه ثانيا.

فائدة مهمة:

أقول للولد أو البنت إذا منعك الأهل من مجالسة الصالحين المعروفين الموثوق بهم والمشهود لهم منعا مؤقتا بسبب مشكلة أو عمل أو دراسة أو غيره مع إمكان التواصل بقدر الاستطاعة فلا بد من السمع والطاعة للوالدين مع الحرص على عدم الانقطاع عن مجالس الخير قدر الإمكان **لكن إذا منعوك منعا نهائيا** من مجالستهم والتواصل بهم لغير ما سبب معتبر شرعا ففي هذه الحال يقول الله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]

وهذه الآية معناها لا طاعة للوالدين إن أمرا ولدهما بمعصية، كالشرك ويلحق بالشرك سائر المعاصي، لقول الرسول ﷺ: ((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)) لكن برفق وتلطف، مع محاولة التوضيح والبيان كلما سنحت فرصة، لأن الله ﷻ أمر في آخر الآية باتباع سبيل الصالحين، قال تعالى: ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾ يعني سبيل الصالحين والمستقيمين.

[1] () لقمان – الآية ١٥

مشكلة المناسبات الخاصة والعامة:

المقصود بالمناسبات هنا ما يمر بالإنسان من أفراح أو أحزان أو سفر أو غيره مما يكون مدة معينة من الزمن خلاف الوضع الطبيعي والمسار الروتيني.

- فالأعراس مناسبة
- والأعياد مناسبة
- واجتماع الناس للعزاء مناسبة
- والاجتماع مع الزملاء للمذاكرة أيام الامتحانات مناسبة
- والأشياء الطارئة التي تجعل الإنسان في وضع غير طبيعي مناسبة وهكذا
- والثورات وغيرها من الفتن مناسبات

هذه المناسبات ليست عيبا ولا مشكلة فيها بل هي أمر لازم في هذه الحياة تحصل لكل الناس لكن المشكلة هي في طريقة التعامل معها من بعض الناس والذي يهمني هنا هو الشخص الذي التزم حديثا أو المستقيم الجديد وكيف يتعامل مع المناسبات الخاصة والعامة هل يستفيد منها أم يتغير نحو الأسوأ.

كانت البداية في المناسبات

من خلال التأمل في حياة الناس نجد أن أكثرهم تعلم أغلب العادات القبيحة في المناسبات وإليك الأمثلة:

- أكثر الطلاب لا يتعاطون القات ولا يلتفتون إليه فإذا ما جاءت الاختبارات وأرادوا

المذاكرة وخاصة إذا كانوا مجتمعين زين بعضهم لبعض تعاطي القات بحجة التركيز ودفع النوم والكسل ثم يصير تعاطي القات أمرا معتادا في سائر الأيام.

- أكثر النساء لا يلتفتن إلى الموضة التي يحرص شياطينها مع كل صيحة كشف أكبر قدر من جسد المرأة فإذا ما جاء عيد أو عرس واجتمعن بالنساء ورأين الجديد مما تلبسه جريئات النساء المتمردات على القيم والعادات تغير الحال لذا ترى عجبا في لباس النساء والبنات يبدأ هذا التغير غالبا من المناسبات.
- بعض الناس قد يكون ملتزما محافظا على الصلوات جماعة في المسجد فإذا ما جاءت مناسبة من سفر أو عرس أو عيد واجتمع مع بعض المقصرين من أقاربه وأصدقائه القدامى تأثر بهم وجاملهم بحجة أنها مناسبة وهكذا خطوة خطوة حتى تعود حليمة إلى عادتها القديمة.

تراجع غير مقصود في البداية:

الذي يتغير يتغير دون أن يشعر في البداية لأنه يقول في نفسه فقط في هذه الأيام سأقصر ثم أعود إلى ما كنت عليه من الالتزام والاستقامة لكنه يتفاجأ جدا حين يدرك أن العودة صعبة لأن الشيطان لن يتركه فبمجرد أنه استطاع أن يعيده إلى الوراء خطوة فإنه لا شك سيتابعه وبقوة حتى يتراجع أكثر وأكثر وله في ذلك أساليب وعنده في ذلك فنون لهذا قال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾

الناس مع المناسبات على قسمين:

١) فمنهم من لا يتراجع بل يبقى ثابتا على حاله الصحيح من الاستقامة بل ربما يستغل المناسبات للتأثير على الآخرين وإفادتهم فمن كان هذا حاله فليحمد الله وليعلم أن السر بعد عون الله ﷻ فيما أحسب أن استقامته نابعة عن فهم وقناعة وحب ورغبة.

٢) ومنهم من يتأثر ويتراجع ويكون هذا التراجع الخطوة الأولى في طريق الانتكاسة للأسف نسأل الله السلامة فمن كان هذا حاله فلا يلومن إلا نفسه وليعلم أن السبب أن استقامته كانت بسبب وجوده فجأة في بيئة صالحة وبين أناس ملتزمين فالتزم معهم عادة لفراغه وتهيأ ظروفه في تلك الفترة ولأنه غير جاد لم يستفد من هذه الظروف ويستغل هذه الفرصة ليفهم ويصل إلى قناعة بل اعتبرها أمرا طبيعيا ولم يخطر بباله خلاف ذلك فلما عاد إلى بيئته السابقة رجع إلى سيرته الأولى.

لذا أقول للشباب دائما:

((لا يغرنك التزام الظاهر ما لم يقتنع العقل ويوقن القلب))

مشكلة النشاط والفترة في الاستقامة:

النشاط والاندفاع في أول الطريق ثم الفتور والاعتدال بعد ذلك أمر طبيعي ومعروف لكن المشكلة فيما إذا كان النشاط غلوا والفترة تفريطا لأجل ذلك قال ﷺ:

((إن لكل عمل ترة ولكل ترة فترة فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد غوى وفي لفظ فقد هلك))[1] والترة النشاط والفترة الفتور والضعف . .

قال عمر بن الخطاب ﷺ: "إن لهذه القلوب إقبالا وإدبارا فإذا أقبلت فخذوها بالنوافل وإذا أدبرت فألزموها الفرائض" .

وسئل علي ابن أبي طالب ﷺ عن الغفلة فقال: "ترك المسجد واتباع المفسد" .

وقال ابن القيم رحمه الله: "تخلل الفترات أمر لازم للعبد فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد لم تخرجه من فرض ولم تدخله في محرم رجي له أن يعود خيرا مما كان عليه" .

وللحديث السابق لفظ آخر هو قوله ﷺ:

((. .ولكل ترة فترة فإن صاحبها سدد وقارب فارجوه وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه))[2] قيل للحسن البصري رحمه الله لما روى هذا الحديث: "إنك إذا مررت بالسوق فإن الناس يشيرون إليك فقال إنه لم يرد ذلك وإنما أراد المبتدع في دينه والفاجر في دنياه" وعلق بن تيمية رحمه الله على هذا فقال: وهو كما قال الحسن البصري ﷺ فإن من الناس من يكون له نشاط واجتهاد عظيم في العبادة ثم لا بد من فتور في ذلك وهم في الفترة

---

[1] () رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني

[2] () رواه البزار والهيثمي والطحاوي والألباني في السلسلة الصحيحة

نوعـــان:

١. منهم من يلزم السنة فلا يترك ما أمر به ولا يفعل ما نهي عنه بل يلزم عبادة الله إلى الممات.

٢. ومنهم من يخرج إلى بدعة في دينه أو فجور في دنياه حتى يشير إليه الناس فيقال هذا كان مجتهدا في الدين ثم صار كذا وكذا.

والخلاصة أن الإيمان قد يضعف ولذلك مظاهر وأسباب وعلاج لا بأس أن نلخصها هنا:[١]

علامات الفتور والضعف: –

- ❖ الوقوع في المعاصي وارتكاب المحرمات.
- ❖ التكاسل عن الطاعات وعدم إتقانها.
- ❖ الغفلة عن ذكر الله تعالى ودعائه.
- ❖ عدم الغضب إذا انتهكت حرمات الله تعالى.
- ❖ ضيق الصدر وتغير المزاج وانحباس الطبع.
- ❖ إضاعة الوقت في غير ما فائدة.
- ❖ عدم الاهتمام بقضايا المسلمين.

[١] من رسالة ((ظاهرة ضعف الإيمان للمنجد)) لكن بتصرف وإضافة.

من أسباب الفتور والضعف: –

- ❖ التواجد في بيئة فيها غفلة ومعاصي.
- ❖ الاهتمام الزائد بالدنيا .
- ❖ الابتعاد عن الأجواء الإيمانية والقدوات الصالحة.
- ❖ التقصير عن طلب ما يجب من العلم الشرعي.

علاج الفتور والضعف: –

- ❖ المحافظة على الصلوات جماعة في المسجد .
- ❖ الاشتغال بالقرآن الكريم تلاوة وتدبرا وعملا.
- ❖ لزوم حلق الذكر ومجالس الصالحين.
- ❖ الإكثار من الأعمال الصالحة وخاصة نوافل العبادات.
- ❖ تنظيم الوقت وعدم الإكثار من فضول المباحات.
- ❖ محبة من يحبه الله وبغض ما لا يحبه.
- ❖ طلب ما يجب من العلم الشرعي ليعلم الإنسان ما له وما عليه.
- ❖ زيارة المقابر لتذكر الموت ومنازل الآخرة.
- ❖ التفكر في حقارة الدنيا بالنسبة للآخرة.

مشكلة الذنوب المتكررة:

لا شكّ وأن المريد للاستقامة يبدأ متحمسا لذا تجده قويا على شيطانه متغلبا على هواه لكن ما إن تمر به فترة من الزمن وخاصة إذا أهمل نفسه في مسألة طلب العلم ومجالسة الصالحين وداوم الرقاد والغفلة وأكثر من الاشتغال بالفضول وما لا فائدة فيه فإنه يقع في أخطاء وتصدر منه ذنوب وبالتدرج طبعا وهذا ليس عيبا في حد ذاته فليس العيب في الخطأ ولكن العيب في الإصرار عليه والاستمرار فيه قال ﷺ: ((كل بني آدم خطاء وخير الخطاءين التوابون))[1]

لكن المشكلة كيف يتعامل مع الخطأ؟ وما أثر هذه الأخطاء على استقامة هذا الشخص أو ذاك؟ ولا يخفى أن هذه المسألة مما يعانيه أكثر الناس خاصة في بداية الطريق لذا أقول إن الشيطان وهو العدو الأساسي لبني آدم يريد منك أن تصل بعد وقوعك في الذنوب إلى أحد أمرين:

الأول : اليأس من رحمة الله: وذلك أنه عندما تصدر منك ذنوب سواء كانت متعلقة بترك أمر من أوامر الله أو فعل منهي نهى عنه الله تعالى فإن الشيطان يوسوس لك بأنك إنسان فاشل لا تصلح للاستقامة لأنك قد جربت لكنك تنقض العهد وتخرب التوبة دائما وهكذا يستمر عليك الهجوم من قبل الشيطان حتى ييأسك من رحمة الله تعالى ويبعدك عن طريق الاستقامة وهذه مصيبة أعظم من الذنوب الأخرى التي فعلتها قال تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[2] فأحذر أن تنزلق هذا

---

[1] () صحيح أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وهو في صحيح الجامع للألباني

[2] () يوسف (٨٧)

المنزلق أو أن يسلك بك الشيطان هذا المسلك أو أن يوصلك إلى هذا المنتهى.

الثاني: الأمن من مكر الله: وذلك أنه عندما تصدر منك مخالفات وتقع في ذنوب إما ترك مأمور أو فعل محظور يأتيك الشيطان ويقول لك لا تهتم فهذه الأمور كل الناس يقع فيها وأنت أفضل من غيرك في كذا وكذا والتوبة من كل الذنوب مستحيلة والالتزام في هذا الزمان هكذا ولا خوف عليك ولا هم يحزنون فتستمر على ما أنت عليه من عصيان بحجة أن الله غفور رحيم وما يكون إلا خير وهذه مصيبة أخرى يريد الشيطان أن يصيبك بها قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1] وذلك لأن عدم الشعور بالذنب ذنب أعظم من الذنب نفسه كما قال بعض السلف .

إذا فما الحل إذا وقع الإنسان في ذنب أو صدر منه سوء ؟

الحل بكل بساطة هو: التوبة والرجوع إلى الله ﷻ والتوبة المطلوبة هي التوبة النصوح المستوفية للشروط التي استنبطها أهل العلم من الوحي "كتابا وسنة" وهي:

- الإقلاع عن الذنب فورا .
- الندم على ما فات من الذنب.
- العزم على عدم العودة إلى الذنب.
- الإكثار من الاستغفار وهو طلب المغفرة.
- الإكثار من الأعمال الصالحة التي تمحوا آثار الذنوب والمعاصي.
- رد الحقوق إلى أهلها .

---

[1] () الأعراف (٩٩)

وهكذا على المسلم كلما وقع في ذنب أيا كان هذا الذنب أن يتوب إلى الله ﷻ توبة صادقة، فإن وسوس له الشيطان وضعفت نفسه وعاد للذنب مرة أخرى فليعد للتوبة، لحديث أبي هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا – وَرُبَّمَا قَالَ : أَذْنَبَ ذَنْبًا – فَقَالَ : رَبِّ أَذْنَبْتُ – وَرُبَّمَا قَالَ : أَصَبْتُ – فَاغْفِرْ لِي. فَقَالَ رَبُّهُ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ : رَبِّ أَذْنَبْتُ – أَوْ أَصَبْتُ – آخَرَ فَاغْفِرْهُ. فَقَالَ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا " . وَرُبَّمَا قَالَ : أَصَابَ ذَنْبًا . قَالَ : " قَالَ : رَبِّ أَصَبْتُ أَوْ قَالَ : أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي. فَقَالَ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي – ثَلاَثًا – فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ " . رواه البخاري ومسلم وأحمد وهكذا كل مرة حتى يكون الشيطان هو المدحور كما ورد عن علي ابن أبي طالب ﷺ.

إذا فلا يأس ولا قنوط من رحمة الله:

وقد فتح الله تعالى لنا بابا نرجع إليه منه وهو باب التوبة قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1]

وقال ﷺ: ((إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها))[2]

---

[1] () الزمر (٥٣)

[2] () رواه مسلم

ولا أمن من مكره جل جلاله:

لأنه شديد العقاب وعذابه أليم شديد قال الله ﷻ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[1] ولذلك فقد عذّب الله ﷻ امرأة في هرة حبستها وأدخل امرأة النار وهي مصلية متصدقة صائمة لكنها تؤذي جيرانها بلسانها وعذّب من قتل في المعركة وهو يقاتل الكفار لأنه غلّ شملة أي سرقها وطرد إبليس من رحمته وأخرجه من جنته لأنه خالف أمرا واحدا وأصر عليه ولم يتب منه مع أنه قد عبد الله تعالى كثيرا فيما يحسب لذا اغتر بعمله ولم ينتبه لكونه عبدا لله لا يسعه إلا الطاعة المطلقة والعبادة التامة . .

والخلاصة هي:

أن الله تعالى غفور رحيم لكن لمن تاب وأناب تأمّل قول الله ﷻ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[2] ومن ابتغى رحمة الله فليكن من المحسنين قال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

---

[1] () الحجر (٤٩-٥٠)

[2] () طه (٨٢)

[3] () الأعراف (٥٦) .

مشكلة كيفية التعامل مع الدنيا:

إن كل شخص عزم على الاستقامة يجد نفسه تقبل على الآخرة وتعزف عن الدنيا وهذا أمر محمود لأنه دليل على صدق النية لكن المشكلة هي مجاوزة الحد في الإعراض عن الدنيا وترك الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية مما قد يوصل في النهاية إلى الإحباط والاستسلام وأعتقد أن السبب هو عدم الفهم الصحيح لحقيقة الدنيا وكيف ينبغي التعامل معها شرعا لذا دعونا نناقش هذا الأمر معا لنعرف التعامل الصحيح مع الدنيا . . .

أولاً حقائق لا بد من معرفتها:

- الدنيا ميدان السباق وقاعة الامتحان ومكان الابتلاء قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1]
- الدنيا وسيلة لا بد منها ليستطيع الإنسان القيام بواجبه الأساسي المتمثل في عبادة الله على أكمل وجه قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[2]
- أن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب لأنها ليست مهمةً عنده ﷻ قال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾[3]

---

[1] () الكهف (٧)

[2] () القصص (٧٧)

[3] () الإسراء الآية ٢٠، ٢١

ثانياً كيف يتعامل المؤمن مع الدنيا:

- أن لا تكون الدنيا أكبر الهم ومبلغ العلم وغاية الرغبة قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[1] وفي الحديث كان من دعاء النبي ﷺ: ((ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا غاية رغبتنا))
- أن تكون النية حين الاشتغال بها الابتغاء من فضل الله وعف النفس والأهل عن الاحتياج للخلق قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] وفي الحديث يقول المصطفى ﷺ: ((. . واعلم أن شرف المؤمن قيامه لليل وعزه استغناؤه عن الناس))[3]
- أن يتأكد من أن العمل الذي يريد القيام به ليس فيه حرام ولا شبهة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[4]
- أن يعمل العمل بإتقان وحسب الشروط المتفق عليها قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[5] وقال ﷺ: ((المسلمون على شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا))[6]

---

[1] () سورة التوبة (٢٤)
[2] () الجمعة (١٠)
[3] () حسن انظر صحيح الجامع
[4] () البقرة (١٦٨)
[5] () البقرة (١٩٥)
[6] () صحيح أخرجه أبو داوود وغيره

- أن يعتدل في العمل فلا يتكاسل ولا يحمل نفسه ما لا تطيق قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] وقال ص: (عليكم من العمل بما تطيقون)
- أن لا يلهيه العمل أو يشغله عن ذكر الله وطاعته قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2] وقال ﷻ ذاما المنافقين: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾[3]
- أن يرضى بما قسم الله له فلا يقابل الغنى والسعة بالكبر والبطر ولا يقابل الفقر والضيق بالجزع والضجر قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[4]
- أن يؤت كل ذي حق حقه من هذا المال فينفق على أهله بالمعروف ويصل رحمه بالمال إن فضل عنده منه ويخرج الزكاة إن بلغ النصاب وحال عليه الحول قال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[6]
- أن لا يبطل نفقاته الواجبة والمستحبة بالمن والأذى قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾[7]

---

[1] () البقرة (٢٨٦)
[2] () المنافقون (٩)
[3] () الفتح (١١)
[4] () الحديد (٢٣)
[5] () الإسراء (٢٦)
[6] () المنافقون (١٠)
[7] () البقرة (٢٦٤)

المبحث الثـــالـث:
الدعوة إلى اللّه خطوة خطوة

تمهيد للدعوة إلى الله تعالى:

- بما أنك قد اهتديت بتوفيق من الله تعالى، وذقت حلاوة الإيمان، ووجدت برد اليقين، وشعرت بلذة الطاعة، وشرح الله صدرك بالاستقامة على دينه، إذا يجب عليك أن تسعى في تخليص الآخرين وإنقاذهم مما هم فيه، يلزمك أن تدل الحائرين، وترشد التائهين، فهذه سبيل سيد المرسلين، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[1]
- امدد يدك لإنقاذ الغرقى في بحور الجهل والهوى والغفلة برفق ولين، وأسرع لإسعاف المصابين بروح الطبيب الحبيب القريب من النفوس، فكم من إنسان يعيش في مستنقعات الرذيلة يتمنى أن يأتي أحد لانتشاله مما هو فيه، وكم من تائه يبحث عمن يرشده، وكم من ضائع يتمنى أن يعثر على من يدله على الطريق الصحيح، فانطلق لكن بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[2]
- لا تقل هذه مهمة العلماء والعارفين فقد قال النبي الكريم ﷺ: ((بلغوا عني ولوا آية))[3] وقال ﷺ أيضا: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص من أجورهم شيئا))[4] وقال ﷺ: ((فوا الله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك

---

[1] () يوسف (١٠٨)

[2] () النحل (١٢٥)

[3] () رواه البخاري

[4] () رواه مسلم

من حمر النعم))[1]

- لكن إياك أخي أن تقول على الله ورسوله ما لا تعلم، أو تفتي بما لا تعرف قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[2] وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[3] وفي الحديث قال ﷺ:- ((من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار))[4]
- فادع إلى أصول الدين ومبادئ الإسلام، مما تعرفه وتؤمن به، فإن عرض لك أمر لا تعرفه فاسأل العلماء، امتثالا لقول الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[5]

والآن إلى الخطوات التي ينبغي أن نسير عليها في هذا الطريق طريق البلاغ وإقامة الحجة على الناس وفق ما قرره أهل العلم بهذا الشأن:

---

[1] () متفق عليه
[2] () الإسراء (٣٦)
[3] () الأنعام (٢١)
[4] () رواه البخاري
[5] () الأنبياء (٧)

"الخطوة الأولى" المعرفة والاختيار:

هذه هي الخطوة التي يجب على الداعية الواعي أن يبدأ بها قبل مباشرة دعوته ليكون تحركه بناء على معرفة ودراية بالمجتمع الذي يريد العمل فيه ليمكنه بعد ذلك بتوفيق الله أن يترك أطيب الأثر في نفوس مدعويه وجمهوره لذا دعونا نتعرف أكثر على تفاصيل هذه الخطوة . .

أولاً المعرفة:

والمقصود بها معرفة أحوال الناس في البيئة التي تعيش فيها وتريد دعوة أهلها لأن الداعي لا يمكن أن يتقدم مع المدعوين خطوة واحدة في الطريق الصحيح وهو لا يعرف محاسنهم التي يجب عليه تشجيعها وتنميتها ولا يعرف مساوئهم التي يجب عليه معالجتها والقضاء عليها .

أمور لا بد من معرفتها:

١) معرفة لغة المدعوين: لتحدثهم باللغة التي يفهمونها واللغة هنا تشمل أمرين:

أ- الألفاظ والكلمات يعني تكلمهم باللهجة التي يتحدثون بها حتى يكون الخطاب مفهوما .

ب- مستوى الفهم عندهم يعني تخاطبهم على قدر فهمهم واستيعابهم فتنزل إلى مستوى الصغير عند مخاطبته وترتفع إلى مستوى الكبير وهكذا قال تعالى مبينا أهمية اللغة: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[١]

٢) معرفة توجهات المدعوين ومعتقداتهم: لتعرف كيف تبدأ معهم ومن أين؟ لذا بين الرسول

[١] إبراهيم (٤)

ﷺ ذلك لمعاذ رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن فقال: ((إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس))[1] وهذا ليكون الداعي على بينة من أمره حتى لا يقضي وقته في دعوتهم إلى ما هو موجود فيهم أو تحذيرهم مما ليس فيهم من أجل هذا تجد أن كل رسول من الرسل عليهم الصلاة والسلام كان يرسل إلى قومه لهدف واضح ومهمة محددة طبعا بعد توطيد أركان التوحيد وغرس مبادئ الدين وأصوله الأساسية فهذا موسى عليه السلام مثلا يعرف أن مهمته مع فرعون بعد دعوته إلى التوحيد أن يدعوه إلى تسليم بني إسرائيل والكف عن ظلمهم واضطهادهم قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[2] وهكذا مع كل الأنبياء والمرسلين من أئمة وسادات الدعاة إلى سيدنا محمد ﷺ الذي كان يعرف حال قومه يعرف ما عندهم من المكارم "كالمروءة والكرم ونصرة المظلوم والشجاعة وغيرها" ويعرف ما عندهم من المساوئ" كالشرك والعصبية والربا وشرب الخمر عند أكثرهم" وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة على معرفة تامة باتجاهات مدعويهم ومعتقداتهم وسلوكياتهم.

٣) معرفة اللازم من أحوال المدعوين وظروفهم العامة والخاصة: حتى لا يكلف أحدا بما لا يطيق أو ينهى أحدا عما لا يقترف وحتى يستطيع التصرف بناء على المعطيات التي عنده لذا ينبغي أن يعرف الجاهل من العاقل والصغير من الكبير والقوي من الضعيف لينزل الناس منازلهم ويؤت كل ذي حق حقه.

---

[1] () متفق عليه

[2] () الشعراء (١٦-١٧)

ثانياً الاختيار:

والمقصود به أن ينتقي من المجتمع أشخاصا يبدأ بهم قبل غيرهم فيربيهم ويعلمهم كما فعل النبي ﷺ مع الرعيل الأول الذين كانوا بعد ذلك سببا مباشرا لهداية من بعدهم.

اختر هؤلاء قبل غيرهم:

إليك أخي إشارات تهتدي بها في الطريق لتعرف بمن تبدأ في دعوتك:

- القريب قبل البعيد سواء في السكن أو النسب أو العمر أو الدراسة أو المنزلة وهكذا فقد بدأ النبي ﷺ دعوته بزوجته خديجة وابن عمه علي وصاحبه أبي بكر وخادمه زيد ﷺ مطيعا في ذلك أمر الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[1]
- صاحب الصفات الأصيلة والأخلاق النبيلة قبل غيره لذا بعث الله ﷻ نبيه محمدا ﷺ في مكة لأن العرب حينها كانوا يمتازون ببعض مكارم الأخلاق التي تؤهلهم لقبول دعوة الحق وحمايتها ونشرها في العالمين.
- الشباب قبل غيرهم لتفرغهم وصفاء أذهانهم ولحماسهم ونشاطهم وهذا أمر معلوم شرعا وعرفا فقد أسلم مع رسول الله ﷺ الشباب قبل آباءهم بل أسلم الشباب غالبا ولم يسلم آباؤهم انظر مثلا في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ﷺ لذا قال تعالى عن أهل الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[2]
- العاقل قبل غيره لأن الحق والخير يخاطب الوجدان وقبله العقل والفكر لذا تجد في القرآن كثيرا من الآيات فيها ﴿إن في ذلك لآية أو لآيات لقوم يعقلون . يتفكرون. لأولي الألباب﴾ وهكذا لأن العاقل كما هو معلوم يفكر ويتأكد بنفسه على عكس الأحمق الذي يصدق ما يقال ويقبل ما يشاع ويتعصب لحزبه أو فئته أو قومه دون أن يستعمل عقله .

---

[1] () الشعراء (٢١٤)

[2] () الكهف (١٣) .

توطيد العلاقة بين الداعي والمدعو:

فإن تم الاختيار على هذا الأساس فلا بد من توطيد العلاقة بين الداعي والمدعو لتتأكد رابطة الأخوة الإيمانية ومن ثم يعيش الجميع أجواء العلم والتربية في ظلال من الحب والرغبة.

ومما يقوي العلاقة وينميها:

- ❖ أن تقوي علاقتك بالله ﷻ "فمن أحبه الله أحبه عامة الناس" ففي الحديث يقول النبي ﷺ: ((إن الله تعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل يا جبريل إني أحب فلانا فأحببه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض))[1] وليس شرطا أن يحبك خواص أهل الشر والفساد فقد كان الكفار والمنافقون يكرهون رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ.
- ❖ أن تحسن التعامل معهم فإنه من نثر الإحسان كسب قلوب العباد فالكلمة الطيبة والابتسامة الصادقة والهدية المعبرة والزيارة الهادفة كل هذه الأمور من حسن التعامل ونبل الخلق وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل: ((وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتباذلين في والمتزاورين في)) [2]
- ❖ الزهد عن ما في أيديهم يعني أن لا تأخذ من المدعوين شيئا ولا تطلب منهم أجرا حتى إذا ما صاروا في صف الاستقامة تعاونتم على الخير وأنفق كل مما عنده قال ﷺ: ((إزهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس)) [3]

---

[1] () متفق عليه

[2] () صحيح أخرجه مالك في الموطأ وأحمد في المسند وهو في صحيح الجامع للألباني

[3] () صحيح أخرجه ابن ماجه والطبراني وهو في صحيح الجامع للألباني

للتوسع في هذا الباب أنصح بقراءة هذه الكتب:

- أصول الدعوة للدكتور زيدان.
- فقه الدعوة إلى الله للدكتور علي عبد الحليم.
- معالم الدعوة في قصص القرءان للدكتور الديلمي.
- الأخوة الإسلامية للدكتور علوان.
- فن الدعوة من الألف إلى الياء للطهطاوي.
- الدعوة الفردية لمشهور.
- كيف ندعوا إلى الإسلام لصقر ويكن.
- علم النفس الدعوي للنغيشمي.
- الدعوة المؤثرة لجمال ماضي.

"الخطوة الثانية" الحديث عن الانحراف ثم الأخذ بأيدي المدعوين:

بعد معرفة المجتمع وأحواله ثم اختيار المجموعة المناسبة لا بد من الحديث عن الانحراف وأنواعه كالشرك والضلال وضعف الإيمان ليعرف كل واحد من المدعوين خطأه فيسعى لإصلاحه بمساعدة وتوجيه الداعية وهذا ما سنعرفه في الصفحات التالية بعون الله تعالى وتوفيقه . .

أولاً الحديث عن الانحراف وأنواعه:

الكلام عن الانحراف أمر لازم أول الأمر كي يعلم الجاهل ويتنبه الغافل لذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ينبهون أول الأمر على انحراف أقوامهم:

- ✓ فهذا شعيب عليه السلام تكلم عن مشكلة قومه بعد الشرك والكفر والتي هي تطفيف المكيال والميزان قال تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[1]
- ✓ وهذا لوط عليه السلام يعرف أن مهمته مع قومه بعد دعوتهم إلى التوحيد هي دعوتهم إلى ترك الفاحشة القبيحة من إتيان الذكور وقطع السبيل قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[2] وهكذا سائر الأنبياء كانوا يبينون لأقوامهم أخطائهم وانحرافاتهم .

---

[1] () هود (٨٤-٨٥)

[2] () العنكبوت (٢٨- ٢٩)

والانحراف المقصود يختلف باختلاف صاحبه فقد يكون:

انحرافا كليا "كفر" كما هو حال غير المسلمين والمرتدين وهنا لا بد من:

الحديث عن الكفر وأدلة بطلانه النقلية والعقلية، ثم بيان أنه شقاء وتعاسة لأصحابه وإن وجدت سبل الراحة والرفاهية، لأن الروح لا ترتاح إلا بالإيمان، ولأن الصدر لا ينشرح إلا للإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[1] وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[2] وقال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3]

وسر شقاء الكافر هو أن: ما يعيشه في واقعه يتنافى مع ما بداخله من الفطرة التي تميل إلى الحق والخير والعدل، بالإضافة إلى أن عنده تساؤلات عن الآلهة وعن الحياة؟ وعن الإنسان وحقيقته وما المراد منه؟ وغيرها من التساؤلات التي لا إجابات مقنعة لها إلا في الإسلام، المتمثل في الوحي الذي أنزله الله تعالى على خاتم أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، الإسلام الذي فيه الحل لكل المشكلات الفكرية المعقدة، والسلوكيات الخاطئة المدمن عليها، لأن الله تعالى أمر بكل ما فيه صلاح الإنسان بل صلاح الكون، ونهى عن كل ما فيه فساد أو ضر على الإنسان بل على الكون، وهذا ملخص الدين قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[4] وهذا ما تبحث عنه البشرية ويتمناه العالم.

وقد يكون انحرافا غالبا "فسوق" أو انحرافا جزئيا "عصيان" وهذا متعلق بالمسلمين وهنا لا بد من الحديث عن: الإيمان كيف ضعف وتلاشى في حياة أكثرنا نسأل الله العافية . . .

---

[1] () طه (١٢٤)

[2] () الزمر (٢٢)

[3] () الأنعام (١٢٢)

[4] () النحل (٩٠)

- فنحن مسلمون لكن أكثرنا وللأسف لم يصل إلى الإيمان الذي به يدخل الناس الجنة، ويسلموا من عذاب النار، حال أكثرنا ينطبق عليه قول الله ﷻ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] أين الإيمان والعمل الصالح الذي لا نجاة لأحد من العذاب إلا به؟ قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ تأمل كل الناس خاسر إلا "الذين آمنوا ولم يقل أسلموا" فأين الإيمان عند أكثرنا ؟ .
- الإيمان ليس القول باللسان فحسب، إنما هو الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان والعمل بالجوارح والأركان، ونحن إلا من رحم ربي آمنا بألسنتنا لكن لم تؤمن قلوبنا وجوارحنا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[2] ونحن قلنا ربنا الله لكن أين الاستقامة؟ أين استقامة القلب بالتوحيد والإخلاص وترك النفاق والرياء والحسد والكره؟ وأين استقامة اللسان بالذكر وتقديم النصح والكلمة الطيبة وترك الكذب والزور والغيبة والنميمة والسب واللعن والبذاءة؟ وأين استقامة الأذنين؟ وأين استقامة العينين؟ وأين استقامة البطن والفرج؟
- نحن مسلمون لكن في الغالب عادة لا عبادة، والدليل على ذلك أن أكثر الناس يلتزم بتعاليم الإسلام إذا كان بين أناس يفعلون ذلك، فإذا انتقل إلى بيئة لا تلتزم بتعاليم الإسلام فعل ما يفعله الناس دون أن يكون عنده أدنى حرج، أين نحن من قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[3] ومن قول الله ﷻ:

---

[1] () الحجرات (١٤)
[2] () فصلت (٣٠)
[3] () آل عمران (١٠٢)

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1] ومن قول المصطفى ﷺ: ((اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها))[2]

- نحن مسلمون ونحافظ على الصلوات غالبا، لكننا في نفس الوقت نكذب ونغش ونخوض مع الخائضين فيما لا نعلم من أمور الدنيا والدين، وقد نأكل الحرام، ونأخذ أموال الناس بالباطل، وقد ننتهك الحرمات ونقع في الفواحش، أين نحن من قول الله ﷻ: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[3]
- نحن مسلمون لكن بعضنا للأسف يفرح إذا حورب الدين، وضيق على العلماء والصالحين، أين نحن من قول الله ﷻ: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[4]

ونحن نعلم أن من يفرح بمحاربة الدين ينطبق عليه قول الله ﷻ عن بعض من يدعي الإسلام من المنافقين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[5]

- نحن مسلمون لكن البعض منا يفهم الإسلام على أنه ساعة لله وأخرى للشيطان، أين

---

[1] () الحديد (٤)

[2] () حسن أخرجه الترمذي وأبو داوود وغيرهما

[3] () العنكبوت (٤٥)

[4] () المجادلة (٢٢)

[5] () محمد (٢٥ – ٢٨)

نحن من قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[١]

- نحن مسلمون لكن بعض الناس لا يعرف الإسلام معرفة حقيقية، ولا يفهمه فهما صحيحا، فالبعض يفهم أن الإسلام حسن الخلق حتى ولو ترك الصلاة والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا ليس صحيحا، والبعض يحسب الإسلام شعائر فقط كالصلاة والذكر والصوم والحج وهذا ليس صحيحا، والبعض يعتقد أن الإسلام مجرد الإيمان بالقلب والاعتقاد الصحيح حتى ولو كان العمل سيئا وهذا ليس صحيحا، والبعض يحسب أن الإسلام لا يتدخل في شئون الحكم والاقتصاد والثقافة والفن وسائر شئون الحياة وهذا ليس صحيحا، إنما الصحيح أن:
  - الدين شامل وكامل فهو عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاق قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٢]
  - فالدين عبادة لله وحده بإخلاص وهو كذلك صلاة وزكاة قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[٣]
  - ومن الدين حسن الخلق قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤] وقال ﷻ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[٥]

---

[١] () الأنعام (١٦٢ – ١٦٣)

[٢] () المائدة (٣)

[٣] () البينة (٥)

[٤] () الأعراف (١٩٩–٢٠٠)

[٥] () الفرقان (٦٣)

- في الدين تربية على أسمى القيم وأحسن الآداب قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[١]
- في الدين علم لكن نافع في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٢] وقال ﷻ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٣]
- من الدين الترفع عن الفواحش والقاذورات قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[٤]
- في الإسلام بيع وشراء ومعاملات مالية عادلة دون أخذ أموال الناس بالباطل قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[٥] وفي الحديث قال ﷺ: ((من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب له النار وحرم الله عليه الجنة فقال له رجل وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله قال وإن كان قضيبا من أراك))[٦]
- في الإسلام ضمان للحقوق وانتصار للنفس من بغي الباغين واعتداء المعتدين لكن بالمثل قال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٧] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا

---

[١] () آل عمران (١٦٤)
[٢] () العلق (١-٥)
[٣] () طه (١١٤)
[٤] () المؤمنون (٥-٧)
[٥] () البقرة (٢٧٥)
[٦] () رواه مسلم والنسائي وغيرهما
[٧] () البقرة (١٩٤)

أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[1]

- في الإسلام حكم لكن بالعدل وفق أوامر الله قال تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾[2] وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[3] لهذا لا يكون الإنسان مؤمنا حتى يقتنع بحكم الله ورسوله في كل الشئون قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[5]

---

[1] () الشورى (٣٩-٤٠)

[2] () الأنعام (٥٧)

[3] () النساء (٥٨)

[4] () النساء (٦٥)

[5] () المائدة (٥٠)

ثانياً الأخذ بأيديهم ومساعدتهم لأجل التوبة وإصلاح الحال:

فإذا عزم المدعوون على التوبة فعلى الداعية أن يوضح لهم خطوات الاستقامة التي ذكرناها في المبحث الثاني: (الاستقامة خطوة خطوة) لكن لا بأس أن أذكر هنا بعض الأمور التي لا بد أن يركز عليها الداعية في هذه المرحلة لأنها ضرورية للتائب الجديد أذكرها على شكل نقاط مختصرة بدون تعليق:

- ❖ لا بد من الابتعاد عن المعاصي وأهلها وأماكنها وما يذكر بها .
- ❖ الإكثار من الدعاء بالهداية والثبات من قبل الداعي والمدعو.
- ❖ اصطحاب المدعو إلى حلق الذكر ومجالس العلم لطلب العلم وللتعود على ممارسة الطاعات والانتظام فيها .
- ❖ مجالسة الصالحين وصحبتهم ممن هم في عمره ومستواه لكي يقضي وقت فراغه معهم حتى لا يشعر بالوحدة فيحن إلى الماضي.
- ❖ التعود على الالتزام ببرنامج عملي حتى تكون معالم الاستقامة عنده واضحة.

نموذج البرنامج العملي اليومي لكل مسلم

- إفراغ القلب من أوساخه كالشرك والرياء والحسد والكراهية والطمع وغيرها .
- إقامة الصلوات الخمس جماعة في المسجد مع الحرص على الرواتب والأذكار القبلية والبعدية المتعلقة بها .
- تعلم الأذكار المأثورة لليوم والليلة والمحافظة عليها لأنها حصن للمسلم تقيه وتحافظ عليه بإذن الله تعالى.
- قراءة ما تيسر من القرءان الكريم يوميا .
- التعود على قيام الليل ولو ركعتين مع المحافظة الدائمة على الوتر لأنه سنة مؤكدة.
- الحرص على الجسم بالغذاء الصحي والحركة والنظافة والطيب.
- ضبط الجوارح السمع والبصر واللسان حتى لا تؤذ بها نفسك أو أحدا من الخلق.
- أداء العمل اليومي بإتقان واجتهاد مع التفاؤل والرضا .
- حب الآخرين والحرص عليهم وتقديم النصح لهم بالحكمة والموعظة الحسنة.
- الأخذ بالعفو والإعراض عن الجاهلين.
- التعود على العطاء ولو بصدقة صغيرة.
- متابعة الأهل في واجباتهم الدينية والدنيوية ومساعدتهم على القيام بها .
- استغلال ما بين المغرب والعشاء ويفضل أن يكون في المسجد .
- متابعة أو سماع أو قراءة شيء مفيد يدلك عليه أهل الخبرة والاستقامة.
- التعود على الاعتدال في الإنفاق مع محاولة ادخار ما تيسر.
- محاسبة النفس وتجديد التوبة.
- الحرص على النوم مبكرا والاستيقاظ مبكرا .

كتب مفيدة في هذا الباب:

- هبي يا ريح الإيمان د. أبو شادي.
- مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي.
- الجواب الكافي لابن القيم.
- الكبائر للذهبي بتعليق ابن عثيمين.
- إسلامنا لسيد سابق.
- أريد أن أتوب ولكن للمنجد.
- ففروا إلى الله للقلموني.

"الخطوة الثالثة" الحديث عن أصول الدين وأركان الإيمان:

بعد الحديث عن الانحراف ومساعدة المدعوين على التوبة لا بد من تحقيق التوحيد وبناء أصول الدين في نفوس المدعوين وفق تعاليم الكتاب الكريم والسنة المطهرة على فهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين ﷺ بعيدا عن تعقيدات الكلاميين وتأويلات الجاهلين وتحريفات الغالين وهذا ما سنشير إليه في سياق الكلام عن هذه الخطوة بإذن الله تعالى . .

أولاً أصول الدين العقدية (أركان الإيمان):

هي معلومة لكل الناس والحمد لله لذا سنكتفي هنا بالإشارة إليها في النقاط التالية:

- أركان الإيمان ستة لا يكون الإنسان مؤمنا إلا بها وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره قال عز وجل: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[1] وأما اليوم الآخر فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[2] وأما القدر خيره وشره فقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[3] وفي حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال ﷺ: ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: صدقت))[4]

---

[1] () البقرة (٢٨٥)

[2] () النساء (١٣٦)

[3] () القمر (٤٩)

[4] () رواه مسلم

- فالإيمان بالله ﷻ يعني التصديق الجازم بالله تعالى وأنه الواحد في ربوبيته يعني لا يشاركه أحد في الخلق والرزق والتدبير والضر والنفع والإعزاز والإذلال والإحياء والإماتة وغيرها من أعمال الرب سبحانه قال ﷻ: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1] وأنه تعالى يتصف بكل صفات الجمال والكمال والجلال لذا فإن الخوف المطلق لا يكون إلا من الله لأنه صاحب الجلال والحب المطلق لا يكون إلا لله لأنه صاحب الجمال والرجاء المطلق لا يكون إلا لله لأنه صاحب الكمال والإيمان يجب أن يكون بناء على نصوص الوحي الثابتة الصريحة فنثبت لله تعالى له ما أثبته لنفسه في كتابه الكريم وسنة نبيه المطهرة من غير تأويل ولا تكييف ولا تمثيل لأنه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2]
- ومن الإيمان بالله الاعتقاد الجازم بأنه تعالى الواحد في ألوهيته يعني لا يستحق العبادة أحد سواه فالخضوع والتذلل له وحده والخوف منه وحده والتوكل والاعتماد عليه وحده والاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا هو لا تكون إلا به وحده والسجود والركوع والذبح والنذر كل هذه العبادات وما في حكمها لا تكون إلا لله جل في علاه قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3] وهذا هو مقتضى قولنا بداية دخولنا في الإسلام "أشهد أن لا إله إلا الله" يعني أشهد أن لا معبود بحق إلا الله.
- وأما الإيمان بالملائكة عليهم السلام فيعني التصديق الجازم بوجود الملائكة وأنهم خلق لله تعالى خلقهم من نور يتفاوتون في أحجامهم وأشكالهم فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ومنهم من جناحاه يغطيان الأفق ومنهم من ما بين شحمة أذنيه ومنكبه مسيرة خمسمائة عام وقد خلقهم الله تعالى لطاعته وتنفيذ أوامره فهم لا

---

[1] () يس (٨٣)
[2] () الشورى (١١)
[3] () الأنعام (١٦٢)

يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون منهم من يكتب الأعمال ومنهم من يقبض الأرواح ومنهم من هو ساجد لله على الدوام ومنهم من هو راكع ومنهم من هو ذاكر وهكذا ومن الملائكة من يعمل في الجنة ومنهم من يعمل في النار وغير هذا كثير مما ورد بشأن الملائكة الكرام فنؤمن به كله كما ورد .

- وأما الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام فيعني التصديق الجازم بكل الأنبياء والرسل الذين أوحى الله إليهم وأرسلهم لهداية الناس من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين والذين يدعون جميعهم إلى عبادة الله وحده وطاعته والسير على منهجه الذي أنزله عليهم ذكر منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبيا ورسولا وذكر في السنة مجموعة منهم وأشار النبي الكريم ﷺ إلى أن عددهم مئة وأربعة وعشرون ألف نبي ورسول منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا نؤمن بهم كلهم "لا نفرق بين أحد منهم" ونؤمن أن خاتمهم والجامع لما جاءوا به سيدنا محمد ﷺ .
- وأما الإيمان بالكتب فيعني التصديق الجازم بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله ذكر منها في القرآن الكريم "الزبور وقد آتاها الله داوود عليه السلام" الصحف وقد أنزلت على إبراهيم وموسى عليهما السلام "والتوراة وقد أنزلها الله على موسى عليه السلام"والإنجيل وقد أنزل على عيسى عليه السلام"من الإيمان بالكتب الإيمان بأنها قد دخلها التحريف اللفظي والمعنوي فزيد فيها وأنقص منها حتى جاء القرآن فكان جامعا ناسخا لها أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على العباد ومن الإيمان بالقرآن الكريم الإيمان بأنه المعجزة الخالدة لنبينا محمد ﷺ لأنه معجز ببلاغته وبيانه ومعجز بعلومه ومعجز بأحكامه وتشريعاته ومعجز بأخباره الغيبية الماضية والآتية. ومن الإيمان بالقرآن الإيمان بأن السنة وحي أوحاه الله لرسوله ﷺ يجب العلم بها والعمل بما فيها .
- وأما الإيمان باليوم الآخر فيعني التصديق الجازم بما ورد عن اليوم الآخر في الكتاب والسنة كالموت وأنه بأجل محدد معلوم عند الله ﷻ وما يجري أثنائه للطيبين الأخيار والخبيثين

الأشرار ثم القبر وما فيه من العذاب أو النعيم ثم البعث والنشور ثم الحساب والكتاب والميزان والصراط ثم الجنة ونعيمها أو النار وجحيمها .

- وأما الإيمان بالقدر خيره وشره فيعني الاعتقاد الجازم بأن كل شيء يقع قدره الله تعالى يعني علمه منذ الأزل وكتبه في اللوح المحفوظ وشائه يعني سمح بوقوعه قضاء على وجه الاختيار أو الإجبار وخلقه يعني أوجد أسباب وقوعه وخلق القدرة على إنفاذها .

ثانياً أصول الدين العملية (أركان الإسلام):

وهي معلومة أيضا لذا سنشير إليها في النقاط التالية:

- الركن الأول: شهادة أن لا إله إلا الله ومعناها: ((أن يقر الإنسان بقلبه ولسانه أنه لا معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له، وأن ما سواه من المعبودات فألوهيتها باطلة، وعبادتها باطلة ولا إله إلا الله مشتملة على ركنين: «لا إله» نفي جميع ما يعبد من دون الله. «إلا الله» إثبات العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ربوبيته وخلقه وملكه قال الله ﷻ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾[1] .
- أما شهادة أن محمداً رسول الله فمعناها: أن يقر الإنسان بقلبه ولسانه أن محمداً رسول الله، فيطيعه فيما أمر . . ويصدقه فيما أخبر . . ويجتنب ما نهى عنه وزجر . . ولا يعبد الله إلا بما شرع وشهادة أن محمداً رسول الله تتضمن ما يلي:

الإيمان به . . اليقين التام بأنه رسول الله حقاً للعالمين . . وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين . . وأن كتابه القرآن آخر الكتب المنزلة . . وأن شريعته ناسخة للشرائع قبلها . . وأن محمداً عبد الله ورسوله . . عبد لا يُعبد . . ورسول لا يُكذب فتجب محبته، وطاعته،

---

[1] () [لقمان:٣٠]

ونصرته، وتحكيم شرعه، والرضا بما جاء به، والتسليم والانقياد لجميع ما جاء به، وعدم الالتفات إلى غير ما جاء به))[1].

- الركن الثاني: إقامة الصلاة: وهي عبادة مخصوصة ذات شروط وأركان وسنن تجب على المسلم في اليوم والليلة خمس مرات مفتاحها الطهارة للثوب والبدن والمكان, والطهارة من الأحداث وتحريمها التكبير ولا بد من الخشوع وحضور القلب فيها وذكر الله فيها كالروح في الجسد فمن أداها بحقها كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة ومن لم يؤدها لم يكن له عند الله عهد قال رسول الله ﷺ:

((خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يضع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة, ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة))[2].

- الركن الثالث: إيتاء الزكاة: وهي عبادة مالية تجب في كل صنف من أصناف المال على الصحيح إذا بلغ نصابا وحال عليه الحول وتؤخذ من أموال الأغنياء لتصرف في مصارفها المذكورة في القرآن الكريم ومن الزكاة ما لا يعتبر في وجوبه نصاب ولا حول ولا يقدر بنسبة أو عدد إنما يرجع أمره إلى وجود فقراء ومساكين أو أرامل أو أيتام لا مال لهم يقيم أصلابهم ويستر عوراتهم ويسد حاجاتهم الضرورية فيجب على من وجد فضلا من مال أن يعود به على من لا مال له ممن أسلفنا وقد فرض الله الزكاة نماء وطهارة فهي نماء للمال وبركة فيه وهي طهارة لنفس الغني من البخل وشدة الحرص وطهارة لنفس الفقير من الكراهية والحسد قال تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها

---

[1]() انظر موسوعة الفقه الإسلامي للتويجري

[2]() رواه مالك واحمد وأبو داوود وغيرهم انظر صحيح الجامع الصغير

وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ﴾[1] .

- الركن الرابع: صوم رمضان: والصوم هو الامتناع عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر الصادق وحتى مغيب الشمس بنية عبادة الله وطاعته في الفريضة والنافلة وقد فرض الله على المسلمين صيام شهر رمضان من كل عام والصيام عبادة وتقرب إلى الله وتربية للإرادة وتزكية للأخلاق وضبط لجماح النفس وتصحيح للمسار ومراجعة عملية للحساب وترسيخ للتكافل والتعاون واستكمال للإعداد قال ﷻ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾[2] .
- الركن الخامس: حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا: ويجب مرة في العمر وهو عبادة جامعة لأنواع العبادات فهو عبادة شعائرية بما فيه من ذكر وتلبية وسعي وطواف ورمي، وهو عبادة مالية بما يوجبه من إنفاق وهو يشارك الصوم في تربية الأخلاق وتعليم الصبر بما يتضمنه من سفر ومكابدة وصبر عن الرفث والفسوق والجدال بالباطل ويشارك الصلاة في إرساء وتنمية معاني الوحدة والاجتماع قال ﷻ: ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾[3]

---

[1] () التوبة ١٠٣

[2] () البقرة ١٨٣

[3] () آل عمران ٩٧

للتوسع في هذا الباب أنصح بقراءة الكتب التالية:

- شرح العقيدة الطحاوية.
- الإيمان هو الأساس للأهدل.
- التذكرة للقرطبي.
- شفاء العليل لابن القيم.
- منهاج المسلم للجزائري.
- المسائل الهامة للمسلمين عامة للمؤلف.
- الإيمان للزنداني.
- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لجماعة من العلماء
- موسوعة الفقه الإسلامي للتويجري.
- الفقه الميسر لجماعة من العلماء.

"الخطوة الرابعة" تعليمهم اللازم من أحكام الدين:

بعد تحقيق التوحيد وغرسه في نفوس المدعوين يلزم تعليمهم ما يستقيم به دينهم من الأحكام التي يجب على كل مسلم أن يعرفها وهذا ما سنحاول الإشارة إليه في السطور التالية بإذن الله تعالى:

أولاً أن يبين لهم ما العلم الذي يجب على كل مسلم تعلمه؟

هناك أمور لا بد من تعلمها لقوله ﷺ: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم))[1]

ومن أهم ما يجب تعلمه:

- تعلم أصول الدين وأركان الإيمان.
- تعلم أحكام الطهارة وأحكام الصلاة لكل مسلم ومسلمة
- تعلم أخلاق وآداب الإسلام
- تعلم أحكام الزكاة لمن عنده مال تجب فيه الزكاة.
- تعلم أحكام الصوم لكل مسلم ومسلمة.
- تعلم أحكام الحج لكل قادر عليه.
- تعلم أحكام البيع والشراء والشركة وغيرها من التعاملات المالية لمن يشتغل في هذا المجال.
- تعلم أحكام الحلال والحرام حتى لا يترك الإنسان شيئا من الحلال معتقدا حرمته أو يقع في شيء من الحرام معتقدا إباحته سواء في الاعتقادات أو الأقوال أو الأفعال
- تعلم أحكام الزواج للمقدم عليه
- وهكذا كل ما يجب فعله يجب تعلمه قبل القيام به ليكون العمل على بصيرة.

---

[1] صحيح الجامع

ثانياً أن يعرفهم كيفية طلب العلم

- حضور حلقات العلماء والمشايخ لأخذ العلم عنهم صافيا نقيا وللاستفادة من هديهم وسمتهم ولنيل بركة تلك المجالس الطيبة خاصة إن كانت في المساجد .
- فإن لم يتيسر التفرغ لطلب العلم فيجب السؤال عن كل شيء قبل مباشرة العمل به لقول الله ﷻ: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ولقوله ﷺ: ((إنما شفاء العي السؤال)) .

ثالثاً أن يعرف حدوده في هذا المجال

وأعني بهذا أن الداعية الصادق مع الله ومع نفسه ومدعويه لا يخطو خطوة إلا في حدود قدراته وإمكاناته ففي مسألة التعليم التي نحن بصددها عليه أن يعلمهم اللازم من أمر دينهم إن كان يستطيع وإلا أخذ بأيديهم وذهب بهم إلى حلقات العلم ليتعلموا معاً ما يجب عليهم تعلمه وبهذا يكون قد قام بواجبه على أكمل وجه دون أن يكلف نفسه ما لا تطيق والله أعلم.

"الخطوة الخامسة" تعريفهم بموجز لسيرة الرسول ﷺ وتاريخ أمة الإسلام:

بعد تعليم المدعوين ما يلزمهم من الأحكام والأخلاق والآداب يُحَبّذ تعريفهم بموجز لسيرة الرسول ﷺ ليعرفوا كيف عاش وكم تعب من أجل تبليغ رسالة الإسلام ثم ليقتدوا به ويتبعوا خطاه ويُفَضَّل أيضا بعد ذلك إطلاعهم على ملخص عام للتاريخ الإسلامي ليعرفوا ما مر بهذه الأمة من أحوال يستفيدوا منها في حاضرهم وهذا ما سنشير إليه في الصفحات التالية

أحداث حياة النبي ﷺ من البعثة إلى الوفاة وهي ثلاث وعشرون سنة:

- نزل الوحي على رسول الله ﷺ وعمره أربعون سنة أعد خلالها لحمل أعباء الرسالة وكان أول ما أنزل من الوحي: ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ثم تتابع الوحي في مكة يعالج أمر العقيدة غالبا .
- كانت الدعوة في البداية سرا لمدة ثلاث سنوات أشتغل فيها النبي ﷺ بدعوة المقربين إليه من أهل بيته وأصدقائه ومواليهم تنفيذا لأمر الله: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾
- بعدها أمره الله ﷻ بالجهر بالدعوة والإعلان بها بقوله: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾
- كان النبي ﷺ يستغل المواسم الدينية كالحج والدنيوية كالتجارة فيعرض نفسه على القبائل "من يؤويني لأبلغ رسالة ربي"
- بعد ظهور أمر الدعوة عرف كفار قريش من آمن برسول الله ﷺ فآذوهم أشد الأذى ليردوهم عن دينهم وكان أول من أوذي رسول الله ﷺ لكن الله ﷻ سخر له من يحميه كعمه أبي طالب.
- قرر الكفار الإيذاء العام للرسول ﷺ وأتباعه ﷺ فحاصروهم في شعب أبي طالب

ثلاث سنوات وقاطعوهم اجتماعيا واقتصاديا .

- أذن النبي ﷺ لأتباعه ﷺ بالهجرة إلى الحبشة مرتين وجلس هو يكافح في سبيل تبليغ هذه الرسالة المباركة.
- في أحد مواسم الحج أسلم مجموعة من رجال المدينة " يثرب " آنذاك وبايعوا رسول الله ﷺ على نصرته وحمايته ثم جاءه بعد فترة وفد آخر أكثر عددا ليبايعه على السمع والطاعة والنصرة فأرسل رسول الله ﷺ سفيرا له إلى المدينة ليعلم المسلمين الجدد الإسلام ويفقههم فيه ليكونوا جاهزين لاستقبال الرسول ﷺ .
- حصل لرسول الله ﷺ في مكة عدد من المعجزات منها انشقاق القمر وإخبارهم بانتصار الروم بعد بضع سنين على الفرس والإسراء والمعراج وحمايته ممن يريد به الأذى ومنها الوحي الذي كان ينزل عليه لينبئهم بما يبيتون فعله به وبدعوته.
- توفي أهم من كان يساند الرسول ﷺ زوجته خديجة رضي الله عنها وعمه أبو طالب تباعا واحدا تلو الآخر.
- ذهب النبي ﷺ إلى الطائف فكانوا في الإعراض أشد من قريش فقد أغروا به صبيانهم وسفهائهم فرجموه بالحجارة حتى أدموه بأبي هو وأمي ﷺ .
- استمر الرسول ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاماً ثلاثة أعوام يدعو سرا وعشرة أعوام يدعو جهرا .
- كان الرسول ﷺ في مكة منشغلا بالبيان والبلاغ وكان يواجه الإيذاء والتعذيب بالصبر والتحمل فقط لذا قال لآل ياسر عندما مر بهم وهم يعذبون" صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة " وقال لأحد أصحابه عندما جاءه يشكو ما يناله من العذاب ((إنه قد كان من قبلكم يؤتى بالرجل فيوضع في حفرة ثم يوضع المنشار على رأسه فينشر نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه

ولكنكم تستعجلون))

- أذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة فهاجروا ولم يبق بمكة إلا القليل.
- ثم أذن الله ﷻ لرسوله ﷺ بالهجرة ليلحق بأصحابه فأعد للهجرة إعداداً تاماً حيث أمر علياً ﷺ بالنوم على فراشه وكلَفَ أبا بكر وأهله بالاهتمام به في ما يتعلق بالطريق واتّخذَ دليلاً يرشدهم وغيَّر الطريقَ المعتاد فكان الإمداد الرباني بعد ذلك.
- بالهجرة إلى المدينة بدأت مرحلة جديدة وهي بناء المجتمع المسلم فكان أول شيء قام به هو بناء المسجد أو قل المساجد لأنه بنى مسجدين في طريقه أحدهما قباء والثاني في بني عوف حيث صلى الجمعة والثالث في المدينة المنورة المسجد النبوي وهذا ليربط المجتمع بربه سبحانه وتعالى.
- ثم آخى بين المهاجرين والأنصار قائلا لهم تآخوا في الله أخوين أخوين وقد استجابوا له فضربوا أروع الأمثلة في الأخوة والتضحية والإيثار حتى أثنى الله ﷻ عليهم في القرآن الكريم بقوله: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وبهذا صار المجتمع متماسكا قويا.
- بعد بناء المجتمع المسلم في المدينة ظهرت فئة أخرى تحارب الإسلام من داخله وهي فئة المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا خلافه خداعا وكذبا.
- عمل النبي ﷺ مؤتمراً عاماً جمع فيه كل سكان المدينة من اليهود والمسلمين والمنافقين واتفقوا على وثيقة التعايش المشترك على مبدأ الحكم لله والوطن للجميع.
- بدأ الوحي يعالج مواضيع أخرى بعد أن ترسخ الإيمان في النفوس فنزلت آيات الأحكام لفرض العبادات والمعاملات وتوضيح الحلال والحرام ففرضت الزكاة والصيام والحج

والجهاد وحرم الخمر والميسر والربا والقتل وقذف المحصنات وهكذا .

- أذن الله ﷻ لرسوله ﷺ بالقتال لاستعادة حقوقهم المصادرة من قبل كفار قريش وللدفاع عن أنفسهم عند أي عدوان فكان من أول ما أنزل في ذلك قوله ﷻ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
- كانت المعارك في البداية بين الإسلام والكفر "بدر وأحد والخندق وغيرها" إما ثأرا وإما دفاعاً ثم كانت المعارك مع اليهود تأديباً لنقضهم العهود التي أبرموها معه في المؤتمر العام، وطرداً لأنهم في الأصل محتلون "بني قينقاع ـ وبني قريظة ـ وبني النظير ثم خيبر" .
- حدث صلح الحديبية مع أهل مكة فتفرغ النبي ﷺ لمراسلة ملوك وأمراء الدنيا لدعوتهم إلى الإسلام فأعرض أكثرهم واستجاب بعضهم وردّ بعضهم رداً جميلا .
- ثم حدثت بعض المعارك "مؤتة وتبوك " مع الروم التي كان العرب يعتبر قتالهم من المستحيل لكثرة عددهم وعظم قوتهم في ذلك الوقت .
- وأخيراً حج الرسول ﷺ حجة الوداع وخطب أثناء الحج خطبة جامعة أوجز فيها مبادئ الإسلام وأصوله العامة وأشهد الناس على ذلك قائلا: ((اللهم هل بلغت؟ فقالوا: اللهم نعم فقال: اللهم فاشهد))
- عاد النبي ﷺ إلى المدينة فمرض فترة ثم مات ﷺ وقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيّاً عن أمته ورسولاً عن رسالته.

عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم:

- بعد وفاة النبي ﷺ اختار المسلمون أبا بكر ﷺ ليكون خليفة لرسول الله يحكم دولة الإسلام ويدير شئونها بشرع الله وعلى طريقة رسوله ﷺ هذا الصحابي الجليل كان الصديق المقرب للنبي ﷺ منذ ما قبل الإسلام، ولما نزل الوحي على رسول الله ﷺ أسلم أبو بكر مباشرة وعُرف بالصديق لأنه صدق النبي ﷺ في قصة الإسراء والمعراج، وقيل لأنه كان يصدق النبي ﷺ في كل خبر يأتيه وفي أثناء مرض الرسول ﷺ أمره أن يصلي بالمسلمين، وبعد وفاة الرسول ﷺ بويع أبو بكر ﷺ بالخلافة في سقيفة بني ساعدة ثم في المسجد ثم بايعه عامة المسلمين وبهذا كان هو الخليفة الراشد الأول، وقد كان زاهداً في الخلافة ولم يسع إليها، المهم أنه بويع بالخلافة يوم الثلاثاء ٢ ربيع الأول سنة ١١هـ، واستمرت خلافته قرابة سنتين وأربعة أشهر، وقد جهز في فترة حكمه جيوشاً لحروب الردة وأرسل جيشاً بقيادة أسامة بن زيد كان قد جهزه النبي ﷺ قبل وفاته ليغزو الروم، وأمر بجمع القرآن خوفا عليه من الضياع حيث أن كثيرا من حفظة القرآن استشهدوا أثناء حروب الردة توفي الصدّيق ﷺ في يوم الإثنين الثاني والعشرين من جمادى الآخر سنة ثلاث عشرة من الهجرة.
- بعد ذلك تولى الخلافة عمر بن الخطاب ﷺ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وثاني الخلفاء الراشدين تولى الخلافة بعهد من أبي بكر ﷺ وبمبايعة الصحابة ﷺ، وقد اتسم عهد عمر باتساع رقعة الدولة الإسلامية، ففتحت مصر والشام وفارس وأرمينية وقد أسس ديوان المظالم، اغتيل عمر ﷺ سنة ٦٤٤م في صلاة الفجر مطعونا بخنجر به سم على يد المجرم الخبيث أبي لؤلؤة المجوسي.
- بعد ذلك تولى الخلافة عثمان بن عفان ﷺ فهو ثالث الخلفاء الراشدين، ولي عثمان الحكم بعد عمر بن الخطاب وعمره ٦٨ عامًا، وفي عهده سقطت الدولة الساسانية وفتح المسلمون قبرص، وأمر بإنشاء أول أسطول إسلامي للحد من سيطرة البيزنطيين

على مياه البحر المتوسط ومن أهم أعماله جمع القرآن ونسخه وإرسال نسخ منه إلى مختلف الولايات الإسلامية اغتيل ﷺ -في الفتنة الكبرى-وهو جالس في منزله يقرأ القرآن على يد نفرٍ من الغوغاء والمفتونين.

- ثم تولى الخلافة علي بن أبي طالب ﷺ وهو ابن عم النبي ﷺ ورابع الخلفاء الراشدين، بايعه المسلمون بعد مقتل عثمان بن عفان ﷺ وقد كان من أبرز التغيرات على الصّعيد السياسيّ في عهده أنه نقلَ عاصمة الدولة من المدينة إلى الكوفة محاولاً إبعاد الصراع عن مدينة رسول الله ﷺ وإخماد آثار الفتنة التي أوصلت إلى قتل عثمان ﷺ لكن دعاتها والمخططين لها استمروا في كيدهم ومؤامراتهم فكانت موقعة الجمل ثم معركة صفين، وهكذا استمرت الفتنة حتى كاد المسلمون من الفئتين أن يتفقا وعقدوا هدنة ليتحاوروا خلالها حول المسائل المتنازع عليها لكن رؤوس الفتنة لم يعجبهم ذلك فقاموا بالتخطيط لقتل ثلاثة من قادة الفئتين هم: (علي ومعاية وعمرو) لأجل استمرار الصراع بين المسلمين وفعلا حددوا مكان وزمان الاغتيال وكلفوا ثلاثة بمباشرة هذه الجريمة كل واحد مكلف بقتل واحد ممن ذكرنا فأخفق اثنان وتمكن المجرم المشئوم المسمى عبد الرحمن بن ملجم الخارجي من قتل أمير المؤمنين ﷺ وبذلك انتهت فترة الخلفاء الراشدين.
- سميت هذه الفترة التي امتدت من عهد أبي بكر إلى علي بن أبي طالب بالخلافة الراشدة، ومدتها ثلاثون سنة من عام "١١-٤١"وفيها توسعت الدولة الإسلامية خارج الجزيرة العربية لتشمل بلاد الشام وقبرص والعراق ومصر وقد كان الحكم قائماً على قاعدة: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾[1]

[1] [سورة الشورى : ٣٨]

فترة الملك الوراثي من العهد الأموي حتى سقوط العثمانيين:

- **الدولة الأموية:** هي عهد حكم بني أمية، ويرجع نسبهم إلى قريش وهو من بيوت الرئاسة فيها وهم أولى الأسر المسلمة الحاكمة، بدأت دولتهم بتولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة واستمرت تسعين عاما وكانت عاصمة الدولة في دمشق ثم قامت دولتهم في الأندلس بعد ثورة العباسيين وجعلوا عاصمتهم هناك قرطبة وشهدت هذه الفترة توسعاً كبيراً في العالم الإسلامي، فقد امتد في الشرق ليشمل إيران والهند والصين وآسيا الوسطى، وامتد في إلى شمال أفريقيا والأندلس (إسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا) .
- مؤسس السلالة الأموية الحاكمة بدمشق هو معاوية بن أبي سفيان المولود بمكة المكرمة (١٥ ق.هـ- ٦٠ هـ)، وتولى الخلافة بين عامي (٦٦٢-٦٨٠ م) كان أخوه يزيد بن أبي سفيان واليا على الشام في عهد الخليفة الأول أبو بكر وبعد وفاته بعث هو واليا عليها منذ سنة ١٨هـ الموافق ٦٥٧م من قبل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ وظلّ واليا على الشام حتى مقتل علي ﷺ وبعد استشهاد علي مُباشرة بايع أهل العراق ابنه الحسن رضي الله عنهما على الخلافة، وبايع أهل الشام معاوية بن أبي سفيان غير أن الحسن ابن علي، راسل معاوية للصُلح، وعرض عليه تنازله عن الخلافة فسر سروراً كبيراً بالعرض ووافق عليه، وعُقد الصلح في شهر ربيع الثاني سنة ٤١هـ (أغسطس سنة ٦٦١م)، وهكذا تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية، وسُمّي ذلك العام بعام الجماعة لأن المسلمين اتفقوا فيه بعد خلاف طويل دام سنوات.
- الجدير بالذكر أنه في عهد الخلفاء الأمويون تقدمت وازدهرت الخلافة بكل مقوماتها وقوتها، وامتد النفوذ الأموي في كل مكان شرقا وغربا وعملوا على تقوية الدولة الإسلامية التي وصلت إلى أكبر اتساع لها بشكل لم تصل إليه أي

دولة إسلامية في كافة العهود السابقة أو اللاحقة، وبرزت الدولة الإسلامية كإمبراطورية ضخمة بكل المقاييس وصل نورها إلى أصقاع بعيدة من العالم، وازدهرت في العهد الأموي العلوم والعمارة والأدب والشعر والفنون والصناعة

- حتى انتهت الخلافة الأموية في المشرق سنة ٧٥٠م والذي دام أكثر من ٩٠ سنة.

- **الدولة العباسية:** هو الاسم الذي يُطلق على ثالث خلافة إسلامية في التاريخ، وثاني السلالات الحاكمة الإسلامية استطاع العباسيون أن يزيحوا بني أمية من دربهم ويستفردوا بالخلافة، وقد قضوا على تلك السلالة الحاكمة وطاردوا أبنائها حتى قضوا على أغلبهم ولم ينج منهم إلا من لجأ إلى الأندلس، تأسست الدولة العباسية على يد المنحدرين من سلالة أصغر أعمام نبي الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ، ألا وهو العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، خلف العباسيون الأمويين، وكان مركز الدولة في بغداد واستمرت دولتهم قوية وشاملة حتى القرن الرابع الهجري، ثم ضعفت وتفككت ونشأت في ظلها أو مستقلة عنها دول كثيرة، حتى انتهت بسقوط بغداد وقتل الخليفة العباسي على يد المغول عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، ومع سقوط الدولة العباسية فعليا بسقوط بغداد إلا أنها استمرت حتى ١٥١٧م كرمز للدولة ودورها الديني في كنف الدولة المملوكية؛ ولم تسقط الخلافة العباسية إلا بعد سقوط الدولة المملوكية، عام "٩٢٣ هجرية"

- **الدولة العثمانية:** هي إمبراطورية إسلامية أسسها عثمان الأول بن أرطغرل، في تاريخ ٢٧ يوليو سنة ١٢٩٩م وتوسعت حتى شملت أكثر بلاد المسلمين بعد غزو جيوش العثمانيين للمماليك في مصر وبعدها اصطحب السلطان العثماني سليم الأول معه لدى رجوعه من القاهرة آخر الخلفاء العباسيين المتوكل على الله الثالث، والذي تنازل له عن الخلافة وسلّمه رموزها أي بردة النبي محمد ﷺ وسيف عمر بن الخطاب وبذلك أصبح العثمانيون خلفاء المسلمين، ونقلوا مركز العاصمة من القاهرة إلى القسطنطينية . .

- بلغت الدولة العثمانية ذروة مجدها وقوتها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، فامتدت أراضيها لتشمل أنحاء واسعة من قارات العالم القديم الثلاثة: أوروبا وآسيا وأفريقيا، حيث خضعت لها كامل آسيا الصغرى وأجزاء كبيرة من جنوب شرق أوروبا، وغربي آسيا، وشمالي أفريقيا وصل عدد الولايات العثمانية إلى ٢٩ ولاية، وكان للدولة سيادة إسمية على عدد من الدول والإمارات المجاورة في أوروبا، التي أضحى بعضها يُشكل جزءًا فعليًا من الدولة مع مرور الزمن، بينما حصل بعضها الآخر على نوع من الاستقلال الذاتي. وهكذا استمرت الدولة العثمانية فترة من الزمن ثم بدأت تضعف شيئًا فشيئًا حتى انتهت تماما في الحرب العالمية الأولى عام "١٣٤٢ هجرية"
- في كل هذه الدول الأموية والعباسية والعثمانية كان الحكم وراثيا لكن في ظل الإسلام وتحت لوائه مع تفاوت بين الخلفاء والسلاطين في العدل والاستقامة مع وجود خلفاء فيهم انحراف وظلم لكنه شخصي غالبا ما يزول بزوال صاحبه.
- وجدت دويلات صغيرة خارجة عن كيان الدولة الأم في بعض الأماكن خلال فترات تاريخية مختلفة قوت أحيانا وصار لها نفوذ بعضها صالحة لذا كانت تحرص جاهدة على الارتباط بالدولة الأم ولو ارتباطا معنويا
- ووجدت دويلات صغيرة أخرى مبتدعة زرعت الفتن في جسد الأمة وجلبت الخراب لكنها كانت تزول لتعود الأمة إلى حضن الإسلام الصافي من جديد .

كل هذه المراحل التي مرت بها أمتنا الإسلامية قد أشار إليها النبي الكريم ﷺ بقوله: ((تكون النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله

أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت))[1]

كتب يستفاد منها في هذا الباب:

- كتب الدكتور الصلابي في السيرة والتاريخ
- كتب الدكتور أكرم ضياء العمري في السيرة والتاريخ
- كتب الدكتور راغب السرجاني في التاريخ

[1]() أخرجه أحمد وغيره

"الخطوة السادسة" إطلاعهم على أحوال المسلمين في هذا الزمان:

بعد أن يعرف المدعوون سيرة النبي المصطفى ﷺ وما يهم من التاريخ الإسلامي لا بدّ من إطلاعهم على واقع المسلمين اليوم ليعرفوا أين كانوا وكيف صاروا لعل ذلك يحرك في نفوسهم حب العمل لدين الإسلام الذي أعز الله به العرب والمسلمين وهذا ما نحن بصدده . .

سقوط الدولة العثمانية وما بعدها

- سقطت الدولة العثمانية مع ما فيها من أخطاء وما عليها من ملاحظات إلا أنها كانت إطاراً عامّاً يجمع المسلمين ويحافظ على هويتهم وثقافتهم . . .

ومما أدى إلى هذا السقوط والانهيار: -

- انحراف الدولة عن تعاليم الإسلام فيما يتعلق بحراسة الدين وإقامة العدل وتولية رجال الدولة على أساس الكفاءة والنزاهة فضعفت ثقة الولايات بالمركز وبدأ الرابط الجامع يضعف ويتلاشى.
- ضعف الدولة الشديد في شتى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية والعسكرية جعل تمزيقها سهلا وتقسيمها ممكنا خاصة إذا اجتمعت مؤامرات أعداء الدولة في الشرق والغرب مع أطماع الطامعين من أبنائها في المناصب والأموال التي سيحصلون عليها في حال سقطت الدولة العجوز.
- تشبع بعض الشخصيات التي لها نفوذ وسط المجتمعات الإسلامية بأفكار القومية حتى صرنا قوميات مختلفة تتمايز فيما بينها ليتجه المجتمع المسلم الواحد في فكره وسلوكه واهتماماته هذا الاتجاه فيحدث شرخ لكيان الأمة الواحد

وهذا ما حدث بعد ذلك على الأقل على المستوى الرسمي والقيادي فالعرب قومية والترك قومية والهند قومية والفرس قومية والأكراد قومية والتركمان قومية وهكذا تفرق الجسد الواحد .

- نشبت الحرب العالمية الأولى واشتعلت نارها لتقضي تماماً على الدولة العثمانية المنهكة أصلاً بتفرق أبنائها وانشغالهم بأنفسهم عنها بل ومحاربة أكثرهم لها طمعا في وراثتها .[1]
- قسّم الاحتلال الغربي والشرقي تركة الدولة العجوز إلى دول صغيرةٍ تفصل بينها حدود مصطنعة ثم توزعت دول الاستعمار: "روسيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا والبرتغال وإسبانيا" جزءاً كبيراً من بلاد الإسلام يحكمونه بمناهجهم وينهبون ثرواته ويسعون لإلغاء هويته العربية والإسلامية ويتحكمون فيه حتى صار مواطنو المدن الرئيسية في البلاد الإسلامية المحتلة عبارة عن عمال وجنود عند المستعمر ينفذون ما يريد غصباً عنهم مع بقاء ولائهم للدين الإسلامي الذي آمنوا به وعاشوا في ظلاله سعداء قرونا اللهم إلا مجموعة قليلة من المنتفعين المتغربين هؤلاء فقط هم من يمم وجهه قبل الغرب رغبة في منصب أو شهرة أثناء الاستعمار وبعد رحيله أيضاً إلى اليوم كما هو حاصل .
- ثم كانت الخطوة التالية من التفرق باسم الوطنية فهذا يمني وهذا مصري وهذا سعودي وهذا باكستاني وهذا بوسني وهذا ماليزي وهكذا كل واحد يغني باسم بلاده ولا يهمه أمر أحد لا دينيا ولا دنيويا إلا من رحم ربي والأصل الذي يجب أن نكون عليه: ﴿إِنَّ

---

[1] () مثل محمد علي باشا صاحب مصر والشريف حسين صاحب الحجاز وغيرهما بدعوى التحرر من الاحتلال التركي الظالم بتشجيع ودعم من فرنسا وأخواتها لأجل استعادة العرب لحكمهم المسلوب منهم هكذا وعدوهم لكنهم وضعوا بلدانهم تحت الوصاية والانتداب بمجرد ما سقطت الدولة العثمانية وهنا تردّد على الألسن المثل المشهور "من تبرأ من مسلم بلاه الله بكافر"

هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾[1] فكل من رضي بالله ﷻ ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا فهو فرد من هذه الأمة الواحدة له ما لها وعليه ما عليها .

- أثناء الاستعمار حدثت انتفاضات ثم حركات استقلالية تقاوم الاحتلال وتحارب الاستعمار حتى نجحت في إخراج المستعمر من بلاد الإسلام عسكريا إلى حد ما مع أن القواعد العسكرية الغربية الضخمة لا زالت قريبة من كل بلد تحاصرها وتضغط عليها وتغزوها إن لزم الأمر كما حدث في أفغانستان والعراق وغيرها .

فترة ما بعد الاستقلال حتى الآن:

لضعف المسلمين وتفرقهم باسم القومية ثم الوطنية ثم الحزبية التي اخترعها الأعداء وزرعوها في بلداننا ورعاها وحماها حكامنا وزعمائنا من باب: ﴿يجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم﴾ ولوجود ثلة عندنا غربية الفكر والسلوك مدعومة من قبلهم ليكونوا هم من يتحكم بمقاليد الأمور غالبا لم يكن الاستقلال حقيقيا أو قل لم يكن كليا إنما كان جزئيا لأننا تحررنا من الاحتلال العسكري كما ذكرنا لكننا لم نتحرر من الاحتلال السياسي والثقافي والاقتصادي كيف لا ونحن إلى الآن نحكم فعليا بالدساتير التي وضعها المستعمر أو نخبته في أغلب بلاد الإسلام لذا يمكن أن نسمي فترة الاستقلال أو ما بعد الاحتلال بفترة الاحتلال بالوكالة يعني أن الذي يحكمنا غالبا وكيل للمحتل ينفذ السياسة التي يريد ليس إلا وهذا واضح للعيان مع تفاوت فيه بين دولة وأخرى من الدول العربية والإسلامية اللهم إلا دول الجزيرة العربية وبعض الأقاليم في بعض الدول فإن الاستعمار وأذنابه ما استطاعوا فرض دساتيرهم وتطبيقها فعليا إلا في حالات نادرة وفي نطاق محدود لكنهم حاولوا ولا زالوا يحاولون إلى هذه اللحظة ولن يتمكنوا من ذلك بإذن الله إذا اعتصمت الأمة بحبل الله وتمسّكت بشريعة الله والتفّت حول المصلحين من عباد الله.

---

[1] [سورة الأنبياء: ٩٢]

القوى الكبرى المهيمنة عالمياً وأهدافها

يرى كثير من المطلعين والمتابعين لتصريحات قادة الدول الكبرى وكذا وسائل إعلامهم وكتابات أبرز مفكريهم وغير ذلك أنه وتحت مسميات عدة منها التبشير بالديمقراطية وحماية الحقوق والحريات والعولمة تهدف هذه الدول إلى تحقيق ما يلي:

- أولاً: التحكم في الاقتصاد العالمي وإخضاعه لمصالح الدول الكبرى وذلك عن طريق حرية السوق والتعامل المشترك بين الدول، وتأمين مزيد من الأسواق للاستهلاك، ومزيد من الثروات للاستيلاء عليها .
- ثانياً: تشكيل النظام العالمي المالي ليندرج تحت المظلة الرأسمالية الغربية والتي يحكمها الغرب وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية، ومحاولة غرس فكرة أن انتصار النظام الرأسمالي دليل على صلاحيته وإنه أفضل صيغة يمكن للعقل البشري أن يصل إليها، ولا يمكن لدول العالم أن تخرج من تخلفها إلا بدخولها في المنظومة الرأسمالية.
- ثالثاً: جعل العالم قرية كونية صغيرة ومحاولة ربط الإنسان بالعالم لا بالدولة التي يعيش فيها وهذا يعني القضاء على سلطة الدولة والمشاعر الوطنية.
- رابعاً: الهيمنة السياسية على دول العالم الثالث، واستعمار ممتلكاتها وخيراتها فيكون التعامل على وفق نظرية داروين "البقاء للأصلح" فلا بقاء للضعيف؛ بل يجب إقصاءه حتى ينقضي ويفنى، فالضعيف مهمش ويجب أن ينبذ عن الطريق وفق نظرية "اصطفاء الأنواع".
- خامساً: التذويب الحضاري لسائر الحضارات التي تحمل قيماً مضادة لقيم الحضارة الغربية وعلى رأسها الحضارة الإسلامية باعتبارها المحرك الأول لمقاومة الحضارة الغربية فيجب القضاء على التعصب الديني والقومي والإقليمي ومزج الأمم في الحضارة الغربية. وفي هذا يقول الكاتب الأمريكي "صموئيل هنتنجتون": "إنه لا مجال ولا إمكانية للتعايش

مع الحضارة الإسلامية لأنها تختلف عن الحضارة الغربية وإن المواجهة التي انتهت ضد الحزب الشيوعي تركت الفضاء مفتوحاً أمام مواجهة جديدة لا تكون إلا مع الغرب وقيمه، والإسلام الذي هو غير قيم الغرب؛ بل هو مغاير للحضارة الغربية، ولحقوق الإنسان، ولسيادة الحق والنظم الديموقراطية يجب مقاومته". وهذا ما صرح به "نيكسون" في كتابه "الفرصة الأخيرة": "إنه بعد سقوط الشيوعية لم يعد هناك عدو سوى الإسلام".

- سادساً: إعادة بناء هيكليات أقطار العالم السياسية في صيغ تكرس الشرذمة والتشتت الإنساني، وتفكك الأوطان إلى كيانات هزيلة قائمة على نزعات قبلية عرقية أو دينية طائفية أو لغوية ثقافية، بغية سلب أمم العالم وشعوبها القدرة على مواجهة الزحف المدمر للرأسمالية العالمية والتي لا تستقر إلا بالتشتت الإنساني.

شروط القوى الكبرى التي يجب توافرها فيمن يتولى الحكم عندنا:

من خلال المتابعة لسياسة الدول الكبرى أثناء الاستعمار وحتى اليوم تجاه بلداننا العربية والإسلامية نلاحظ أنهم يشترطون شروطا لا بد أن تتوفر فيمن يريد أن يحكم بلاده كي يغضوا الطرف عنه ولا يقفوا في وجهه ألخصها فيما يلي:

- أن يكون مستعدا لتبني الأفكار والأطروحات التي يريدونها في كل المجالات من خلال سن التشريعات والقوانين التي تحقق أهدافهم ثم فرضها على المجتمع تدريجيا بقوة وسلطة الدولة.
- محاربة وبحزم أي توجه يدعو للتدين الواعي الشامل أو حتى يتبنى أفكاراً تنموية واستقلالية يمكن أن تنهض بالبلاد بعيداً عن هيمنة المحتلين القدامى.
- الخضوع لرقابة ومتابعة تلك الدول حتى يضمنوا عدم التمرد عليهم والخروج عن تعليماتهم في كل المجالات السياسية والاجتماعية والتنموية فإن لا حظوا أي توجه في أي مجال لا يشكل

منافسة لهم سمحوا به وصرحوا له وإن رأوا العكس فلا يصح الخروج عن القوانين الدولية بأي حال لذا تجدهم يستخدمون كل وسائل الضغط السياسية والاقتصادية وحتى العسكرية إن لزم الأمر وما ذلك إلا تصديق لقوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ . كل هذا يحصل كما هو معلوم لكل من يرى ويسمع بعد التحرر من الاستعمار العسكري أريد لنا من خلاله أن نبقى تحت الاحتلال الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي للدول الغالبة اليوم ينفذه ويدافع عنه ويحارب من يخالفه بعض النخب والحكام المدعومين من جهة هذه الدول التي تسمى بالكبرى لذا نشأت صراعات داخلية بين أتباع المستعمرين المدعومين منهم[١] وبين الأمة وهويتها ممثلة بالنابهين والمخلصين من أهل العلم وغيرهم من أهل الحل والعقد في كل النواحي وسائر المجالات نتيجة السياسات التي يمارسها هؤلاء الحكام تجاه الدين والوطن وهكذا لن تتوقف الصراعات حتى تتغير السياسة وتكون مناسبة للشعوب الإسلامية ومن هنا ظهر مصطلح الإسلام السياسي وشن الغارة عليه بكل الوسائل، ومن مظاهر ذلك تصريحات لساستهم[٢] تعكس هذا الرعب والفزع من "عودة الإسلام" من جديد ! ليقود سفينة العدل والسلام في هذا العالم . . .

- يقول: "حاييم هبرتزوج" السفير اليهودي السابق لدى "الأمم المتحدة": (إن ظهور حركة اليقظة الإسلامية بهذه الصورة المفاجئة المذهلة قد أظهر بوضوح أن جميع البعثات الدبلوماسية، وقبل هؤلاء جميعا وكالة الاستخبارات الأمريكية كانت تغط في سبات عميق)[٣]

١() أعني المدعومين من قبل الدول الاستعمارية

٢() نقلا عن عودة الحجاب للمقدم

٣() اهـ. من صحيفة الـ "جيروزالم بوست " الصهيونية- بتاريخ (٢٥/ ٩/ ١٩٧٨ م) – نقلا عن "الاتجاهات الفكرية المعاصرة" للدكتور على جريشة هامش ص (١١) .

- ويقول المنصر "لورنس براون ": (لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبررا لمثل هذه المخاوف، لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي، وبالخطر الأصفر، وبالخطر البلشفي، إلا أن هذا التخوف كله لم يتفق كما تخيلناه، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا فكل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا، أما الشعوب الصفر فهنالك دول ديمقراطية كبرى تقاومها، ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي)[١]
- وهذا راديو إسرائيل يبث في تعليق سياسي: (إن عودة الروح الدينية للظهور من جديد في المنطقة يشكل تهديدا مباشرا لمستقبل إسرائيل، ولمستقبل الحضارة الغربية بأسرها)[٢]
- وهذا "ابن جوريون" يقول: (نحن لا نخشى الاشتراكيات، ولا الثوريات، ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الإسلام، هذا المارد الذي نام طويلا، وبدأ يتململ من جديد)[٣]
- وقال أيضا في الكنيست: (اصبروا، فلن يكون هناك سلام لإسرائيل ما دام العرب تحت قيادة الرجعيين، إن الشرط الأساسي للسلام هو أن يقوم في البلدان العربية حكومات ديمقراطية تقدمية متحررة من التقاليد الإسلامية)[٤]
- وهذا "شعيا بومان "– كاتب يهودي – يصيح في هلع وفزع: (إن على أوربة أن تظل

---

[١] () اهـ. من "أجنحة المكر الثلاثة" ص (٦٧) .

[٢] () اهـ. بصوت معلق إذاعة إسرائيل للشئون السياسية الساعة العاشرة والربع مساء يوم (١٩٧٨/٩/٥ م) نقلا عن "الاتجاهات الفكرية المعاصرة" هامش ص (١٢) .

[٣] () اهـ. – نقلا عن "أجنحة المكر الثلاثة" لأستاذ عبد الرحمن حبنكة ص (١٣١) .

[٤] () اهـ.انظر "القسم الأول" ص (٨٢) .

خائفة من الإسلام، ذلك الدين الذي ظهر في مكة لم يضعف من الناحية العددية، بل هو في ازدياد واتساع، ثم إن الإسلام ليس دينا فحسب، بل إن من أهم أركانه الجهاد، وهذا ما يجب أن تتنبه له أوربا جيدا)[1]

- وجاء في صحيفة (أحرونوت) الإسرائيلية: (إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة هي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، هذه الحقيقة هي أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاما، ويجب أن يبقى الإسلام بعيدا عن المعركة إلى الأبد، ولهذا يجب أن لا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل، وبأي أسلوب، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش لإخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية قي المنطقة المحيطة بنا)[2]
- ويقول المستشرق شاتلي: "إذا أردتم أن تغزوا الإسلام، وتخضدوا شوكته، وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة والاحقة لها، والتي كانت السبب الأول والرئيسي لاعتزاز المسلمين وشموخهم، وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم، عليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم والأمة الإسلامية بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم وكتابهم القرآن، وتحويلهم عن كل ذلك بواسطة نشر ثقافتكم وتاريخكم، ونشر روح الإباحية، وتوفير عوامل الهدم المعنوي، وحتى لو لم نجد إلا المغفلين منهم والسذج البسطاء لكفانا ذلك؛ لأن الشجرة يجب أن يتسبب لها في القطع أحد أغصانها". [3]

---

[1] () اهـ. من "أجنحة المكر الثلاثة" صـ (١٣١) .

[2] () اهـ. من صحيفة (أحرنوت) اليهودية بتاريخ (١٨/٣/ ١٩٧٨م) عن "الاتجاهات الفكرية المعاصرة" هامش صـ (١٢)

[3] () اهـ. من "غزو العالم الإسلامي " للمستشرق "شاتلي " صـ ٢٦٤) – نقلا عن "أجنحة المكر الثلاثة" .

العالم الإسلامي اليوم:

هو مصطلح يقصد به الدول التي يغلب على سكانها المسلمون والذين ينتشرون في نحو من ست وثمانين دولة من دول العالم، وبشكل خاص في قارتي آسيا وأفريقيا وهم في تزايد مستمر في كل بقاع العالم. . .

معلومات عامة عن العالم الإسلامي وثقافته

- عدد السكان: (١,٧٢٨,٥١٤,٦٩١) نسمة عام (٢٠٠٨) نسبتهم إلى سكان العالم: ٢٦٪ تقريبا .
- المساحة: (٤١,٧٠٧,٥٤٠)كم٢ ما نسبته من مساحة اليابس: ٢٨٪ .
- اللغة الرسمية: العربية. اللغات الفرعية: أكثر من٢٠ لغة.
- الديانة: رسميا الإسلام.
- المسلمون يشكلون نسبة ٨٥ % من عدد سكان العالم الإسلامي منهم (١٠٪ شيعة وعلويون وإباضية وقاديانية وطوائف أخرى تنتسب إلى الإسلام والبقية ٩٠ % سنة) أما غير المسلمين فيمثلون حوالي ١٥ % ما بين مسيحين وهندوس وبوذية ويهود وسيخية وزرادشتية وكنفوشسية وجاينية وبهائية ويافلية وملحدين ووثنيين وروحانيين وغيرهم.

أوضاع العالم الإسلامي السياسية والاقتصادية:[1]

- الاستبداد السياسي والفساد الإداري والمالي هو أهم ما تتميز به الأنظمة الحاكمة في البلاد العربية والإسلامية في هذه المرحلة من التاريخ غالبا .
- ومن أبرز المظاهر السياسية أنه يسمح للأحزاب والمؤسسات والهيئات التي تصب في مصبٍ واحد وهو التبعية للنظام العالمي المسيطر عليه من الدول الكبرى وتمجيده رغبةً أو رهبةً والسماح له بالتغلغل في كل مناحي الحياة وتشويه ومحاربة كل ما يعارضه ويقف في وجهه ولا مانع بعد ذلك من الحرص على المصالح الشخصية من المناصب والأضواء والأموال في إطار تقديم الحلول الجزئية المؤقتة لقضايا ومشكلات الأمة لأجل شغل الناس إعلامياً بالأمجاد والإنجازات وحتى لا يموت الأمل نهائيا في نفوس المواطنين فيستيقظوا ويلتفوا مع المصلحين ويروِّج هؤلاء الناس[2] على أنهم مناضلون وأبطال مع أنهم هم الذين أوصلونا إلى هذا التخلف العلمي والاقتصادي الذي نعيشه لأنهم يتحكمون فينا من حين خروج المحتلين، وهم يزعمون وتروج أبواقهم ليل نهار في كل مكان أنهم متحضرون ومتقدمون يسيرون بنا باتجاه التطور والرقي ليلحقوا بركب الأمم الراقية لكن شيئاً من هذا لم يحدث حتى الآن ولن يحدث **لسببين هامين هما:**
  - أولاً: لأنهم تابعون لعدوهم الذي لا يمكن أن يسمح لهم بالنهضة أو التطور الحقيقي وإن زعم أنه يدعمهم ويساندهم ليضمن تبعيتهم له واستهلاكهم لمنتجاته
  - ثانياً: لأنهم يعيشون في صراع مع مجتمعهم الذي انقلبوا على قيمه ومبادئه فكيف

---

[1] هذا الكلام ينطبق على غالب الحال في العالم الإسلامي ومع ذلك هناك دول عربية وإسلامية لم تستطع فيها الدول الأجنبية فرض كل شروطها السياسية عليها وهناك دول ليس فيها استبداد ولا فساد يؤثر على الوضع العام وكذلك ليست كل شعوب العالم الإسلامي متخلفة ومتأخرة وفقيرة فهناك دول لا بأس بها في كل المجالات .

[2] ما يسمى بالنخبة المريضة من سياسيين ومثقفين ومفكرين ورجال أعمال وغيرهم ممن له تأثير على المجتمع .

ينهضون وهم في صراع داخلي دائم .

- أما الأحزاب والتكتلات والمنظمات التي تسعى لاستعادة سيادة الأمة دون التنكر لهويتها وثقافتها، وتسعى لتقديم حلولاً جذرية لكل المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية فإنها تحارب بشراسة من قبل دول الاستعمار وأذنابها داخل كل بلد بكل الوسائل فيشوهون إعلامياً ويقدمون للمجتمع على أنهم خونة وعملاء أو أنهم متخلفون ورجعيون أو متطرفون وإرهابيون ويحاربون سياسياً فلا يسمح لهم بالصعود في سلم الوظيفة العامة حتى لا يصلوا في يوم من الأيام إلى مركز قرار فيؤثرون في المشهد السياسي الموالي للغرب أو قل التابع للغرب وإذا حدث ووصل بعضهم فسرعان ما يتم التآمر عليه والانقلاب ضده أو حتى تصفيته والتخلص منه[1] .
- وقل مثل ذلك أو أشد في ما يتعلق برجال المال والأعمال المخلصين الذين رفضوا أن يضعوا أموالهم في البنوك الربوية لتشتغل في الربا فتبقى جامدة في أيدي الأثرياء لا تستفيد منها البلد ولا ينتفع بها الناس، مع ضرورة دعم المنظمات الدولية لتبدوا أمام شعوبنا أنها تهتم بحقوق الإنسان وتقدم المساعدات في شتى المجالات، من أبى ذلك وقرر أن يستثمر أمواله في مشاريع مثمرة ومنتجة قوية تسعى لتشغيل الأيدي العاملة وللاكتفاء الذاتي ولو بعد حين وكذلك من يدعم المشاريع الخيرية والأنشطة العلمية والتربوية الوطنية التي لا يريدها صناع القرار في الدول الكبرى فإن هذا مما لا يسمح به كذلك بل يشوه إعلامياً وقضائياً إن أمكن وقد يلاحق أمنياً وتصادر أمواله كل هذا بدافع من الخارج.
- والتخلف الصناعي والزراعي والتجاري هو السمة البارزة للمجتمعات الإسلامية حتى صارت تعرف بالدول النامية أو دول العالم الثالث التي من أهم خصائصها:

---

[1] () كما حصل لضياء الحق في باكستان، والجماعة الإسلامية في الجزائر، ونجم الدين أربكان في تركيا، وحماس في فلسطين، ومرسي وجماعته في مصر وغيرهم كثير . . .

- اجتماعيا: قلة الإمكانيات الطبية وضعف المستوى المعيشي والهجرة المكثفة من البوادي إلى المدن والأمية المرتفعة حتى وإن وجدت الدراسة والبحث العلمي فهي غالبا ما تكون دراسة نظرية متأخرة لا تهتم بالتطبيق ولا تلتفت إليه لأن الإرادة السياسية هكذا تريد وإن أرادت عكس ذلك لا يسمح لها .
- اقتصاديا: تصدير المواد الأولية وعدم تحقيق الاكتفاء الذاتي في المواد الاستهلاكية وضعف الاستثمارات الصناعية. وغياب التكامل بين القطاعات الاقتصادية. وارتفاع المديونية الخارجية. والتبعية الاقتصادية للدول الاستعمارية السابقة.

يعني أنها أمة مستهلكة تأخذ من العالم ولا تعطي مع ما فيها من خبرات وما عندها من ثروات لكن السياسات الاقتصادية المستوردة أرادت هذه الأمة هكذا حتى لا تنافس في عالم الاقتصاد لأنها لو نافست لا شك ستؤثر في كل المجالات وهذا ما لا ينبغي عند الأعداء وأذنابهم المستفيدين على حساب الأمة ومصالحها .

أوضاع العالم الإسلامي الدينية:[1]

على الرغم من ((أن الدين في مجتمعاتنا لا يزال له دور الصدارة في التوجيه والتأثير وأن كلمته لا تعدلها كلمة في قوتها وأنه ليس شيئاً ثانوياً على هامش حياة الناس بل هو المحور الأساسي والمقوّم الأول لحياتهم وما نراه من ابتعاد وانحراف عن مبادئه وتعاليمه فإنما هو ناتج عن الجهل والتجهيل والغفلة والتغفيل والغزو الفكري والثقافي الذي حمل لوائه من يريد أن يفرّغ مجتمعاتنا من الدين ويحكمها بغير شريعة الله من رجال الأحزاب اللادينية التي تحكم الأمة وتتحكم فيها في أكثر بلداننا[2] هؤلاء يريدون أن يفرضوا هذا كُرهاً وقهراً وأن يقودوا شعوبهم رغماً عنها إلى ما لا تحب وهذا ليس في صالح الشعوب التي تشعر بالتناقض بين عقيدتها ونظامها وبين ضميرها وواقعها))[3] ومع ذلك فيمكن تلخيص أوضاعنا الدينية في النقاط التالية:

- أول الأحداث وأعظمها منذ الاستعمار وحتى اليوم إزاحة الشريعة الإسلامية عن منصة الحكم واستبدالها بدساتير وقوانين غربية أو شرقية في أكثر بلاد المسلمين قال تعالى: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ وقال ﷺ في الحديث الصحيح: ((لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة))[4]
- بعض الحكام في أكثر بلاد العالم الإسلامي لا يهتمون بدين الإسلام تعليماً وتربية عقيدة وشريعة وكأنه لا يعنيهم وليتهم وقفوا عند هذا الحد بل يستمرون فيقلصون الاهتمام به

---

[1] هذا الكلام لا ينطبق على كل الدول الإسلامية لأن هناك دول لا زالت تزعم أنها تحكم بشرع الله وهناك دول دستورها شرعي لكنها لا تطبقه وهناك دول لا تحارب التعليم الديني والعلم الشرعي .

[2] وهي تيارات تحركها وتغذيها قوى عالمية ضخمة تمدها بالتمويل والتخطيط والتوجيه

[3] ملخص من مقدمة د . القرضاوي لكتابه فتاوى معاصرة بتصرف

[4] رواه أبو داوود والترمذي وهو في صحيح الجامع

"الدين" ويحاربونه كمّاً وكيفاً في كل المجالات وعلى كل المستويات كي تنقص حرمته في النفوس فيسهل عزله من الحياة الاجتماعية كما تم عزله من الحياة السياسية استجابة لتوجيهات أو ضغوطات المحتلين القدامى . .

- فالمساجد لا تقوم بدورها التعليمي والتربوي ولا يسمح لها أن تقوم بدورها لأنه يراد لها أن تكون للصلاة فقط بعيدة عن واقع الحياة المعاش.
- والمناهج المدرسية تقلل فيها كمية المواد الدينية مع حذف مواضيع معينة ويقلل كذلك من شأن من يعلم أو يتعلم دراسات إسلامية.
- وهكذا قل فيما يتعلق بالثقافة والإعلام والشباب والرياضة لا تكاد تجد للدين أهمية ناهيك عن أن تقوم بدورها في تربية الأمة على الدين إلا ما ندر والنادر لا حكم له قياساً على الكثير الغالب في عالمنا .
- حتى على مستوى الكتب الدينية كان ولا يزال في بعض البلدان الإسلامية لا يسمح بطباعتها وتوزيعها بل ويتم مصادرة الموجود منها .
- يضيقون على الأحزاب والهيئات الدينية، والشخصيات العلمية والاجتماعية، التي تعارض باطلهم بالطرق المشروعة، ويشوهونهم أمام الشعوب فيصورونهم على أنهم طلاب دنيا يسعون لجمع المال والوصول إلى السلطة مع أنهم فقط يطالبون بفعل ما أمر الله ﷻ به من العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وترك ما نهى الله ﷻ عنه من الفحشاء والمنكر والبغي أما الدنيا فلو كانوا يريدونها لوافقوا الحكام وتابعوهم بدلا من أن يعارضوهم.
- هذا غير ما يتهم به الإسلاميون، وكبار الوطنيين، من العلماء، والدعاة، والشخصيات الاجتماعية والفكرية الفاعلة، في بعض البلدان من الإرهاب والتخريب زوراً وبهتاناً وليتهم يقفون عند هذا الحد بل تخطط أجهزة المخابرات لجرائم بشعة ينفذها بعض الشباب ممن مورس ضدهم القهر والاضطهاد، بتسهيلٍ

تام من الجهات المختصة، وأحياناً يقوم بهذه الجرائم بعض الجهلة المغرر بهم طمعاً أو خوفاً، أو حتى بدون علمهم، كأن يدفعونه إلى مكان ما ويفجرونه، ثم يلصقون هذه الجرائم بمن يريدون من رموز الأمة الدينية والسياسية هكذا تصرح وسائل الإعلام مراراً وتكراراً لتصبح هذه الافتراءات حقائق لا نقاش حولها ثم قد يشارك القضاء فيحكم على الصالحين بما يريده الساسة من منافقي هذه الأمة وأتباع أعدائها بهدف إسكات صوت الحق ولو إلى حين .

- عدم السماح أو التشديد في السماح للملتزمين بالانخراط في الوظائف الحكومية في السلك القضائي والعسكري والأمني والإعلامي بحجة الخوف من التطرف والصواب الخوف من المخابرات الغربية التي تراقب وتوجه مع السماح للأقليات الدينية ذات التوجهات المنحرفة كغلاة الشيعة والباطنية وغلاة الصوفية وغيرهم ودعمها بكل الوسائل من أجل تمزيق النسيج الاجتماعي للبلاد الإسلامية لضمان استدامة السيطرة عليها أو على الأقل إطالة مداها .

وأما الجانب الأخلاقي:

فالمسلمون في هذا أحسن حالاً من غيرهم بلا شكّ لكن هناك تراجع في مستوى الأخلاق العامة في المجتمعات الإسلامية كافّة هذا التراجع له مظاهر كثيرة من أهمها على سبيل المثال لا الحصر:

١. ضعف الاهتمام بمعالي الأمور ومكارم الأخلاق كالصدق والأمانة والحياء والعفة والكرم والشجاعة والمروءة والوفاء وغيرها من الصفات الحميدة والخصال النبيلة .
٢. غياب احترام الكبار وأهل الفضل على كل المستويات وظهور الوقاحة وتقديم الأصاغر وتصدّر الرويبضات في أغلب المجالات واعتبار ذلك من التغيير والتجديد اللازم .
٣. غلبة الأنانية وحب المصلحة الشخصية على حساب التكافل والتعاون والحرص على المصالح العامة وهذا أدّى إلى انتشار الكراهية والبغضاء وغياب المحبة والرحمة .
٤. انتشار الكذب بشكل فضيع على كل المستويات حتى صار الصادق نادر الوجود .
٥. انتشار الغش والخداع في أغلب التعاملات الخاصة والعامة واعتبار ذلك من الذكاء .
٦. ضعف الحياء حتى عند بعض النساء وهذا ما سمح بانتشار التبرج والعلاقات المحرمة بين الجنسين التي أدت إلى إشاعة الفواحش وخراب البيوت وتفكك المجتمعات .

هذا التدني العام في أخلاق المسلمين له أسباب كثيرة من أبرزها:

- ضعف دور الأسرة في الاهتمام بالتربية على القيم والأخلاق وانشغالها بالجوانب المادية
- السياسات التعليمية التي لا تهتم بالتربية الدينية والأخلاقية في المدارس والجامعات .
- وسائل الإعلام المرئية والمسموعة التي تنشر غالباً ما يؤدي إلى: طمس الهوية، وهدم مكارم الأخلاق ونشر الرذائل، والترويج لعادات الشرق والغرب السيئة، وتمزيق النسيج الاجتماعي للأمة من خلال بث الفرقة ونشر الكراهية بين الناس، وهناك وسائل إعلام لا هدف لها سوى جمع المال ولو بشغل الناس بأمور تافهة لا تسمن ولا تغني من جوع بل تستهلك الوقت وتقتل الطاقات وتنشأ جيلاً هوائياً خيالياً لا هدف له ولا هوية.

أين دور الشعوب في العالم الإسلامي؟

لا شكّ أنّ ما حصل للأمة ويحصل لها جاء على حين غفلةٍ منها، استطاع أعدائها خلالها، أن يزيحوا رموزها، وقادتها، من أماكنهم في صفوف القيادة، ليضعوا بدلاً منهم أغراراً وضعفاء.

هذه الغفلة أو غياب الوعي كان مقصوداً ومتعمداً ومخططاً له، وعليه تشتغل وسائل الإعلام وأبواق النظام العالمي في كل مكان، لتبقى الشعوب ضائعة، لا تعرف من يعمل لصالحها ومن هو تابع للأجانب،[1] يسعى لتنفيذ ما يريدون، سواءً كان يعرف ذلك، أو لا يعرفه.

لكنَّ هذه الأمة لم تمت، ولم ينتهِ النابهون من أهل الخير ورموز الحق فيها، رغم كل ما حدث لذا ما يزالون يتحركون، في سبيل التحرر من قيود الاستعمار، السياسية والثقافية والاقتصادية التي لم تجلب لنا إلا الهوان والتخلف في شتى المجالات.

لكن المشكلة هي أنه كلما قرر شعبٌ من الشعوب، الاستقلال الكلي والتحرر المطلق، من قيود الاستعمار، (السياسية والاقتصادية والثقافية) تحرك الاستعمار، وأيقظ خلاياه التي زرعها في جسم كل شعب من أبنائه، فكانت الصراعات والفوضى والخراب والمشاكل، حتى يكون الرضوخ أخيراً، للبقاء على الحال المذكور من التبعية للدول الكبرى، مقابل الأمن والاستقرار النسبي، الحاصل في الظروف العادية.

وليتهم يكتفون بذلك، يعني باستعادة السيطرة على الأمور لصالحهم، بل تتحرك ألسنتهم وأيديهم بالسوء، للبطش والتنكيل بقادة الأمة ورواد نهضتها، ممن يريد انتشالها من واقعها المخزي الأليم، وهكذا دواليك إلى أن يشاء الله، بعد استنفاد الأسباب، وتمايز الصفوف، وصحوة النسبة الكافية من الناس، الذين يمكنهم الوقوف مع قيادة الأمة، ونشر الوعي بين أقوامهم، والصبر عليهم حتى تعود الأمة إلى مكانها اللائق بها، وهذا ما يحصل في هذه الفترة من صراعٍ، والذي سيوصل في الأخير إلى بلوغ غايته، وتحقيق ما تقرَّ به نفوس المسلمين، في كل بقاع الدنيا، من العزة والكرامة، والنهضة والرقي، والتنمية والعيش الرغيد، وعسى أن يكون ذلك قريبا.

---

[1] الذين لا يريدون لنا الخير وإن زعموا لأن التاريخ البعيد والقريب والواقع يرينا عكس ذلك لمن له أدنى نظر

المستقبل القريب يبشر بالخير

كل ما تقدم لا يعني بالضرورة أن الأمة الإسلامية كلها إلى الآن لا تزال ترضخ تابعة لدول الاستكبار الشرقية والغربية المتحكمة في المشهد العالمي اليوم لأن :

- هناك دول في العالم الإسلامي لم يستطع الأعداء من الشرق أو الغرب أن يخترقوها الاختراق الكامل، ولم يعبثوا بمقام القيادة فيها عبثاً كلياً، لذا لا زالت متمسكة بدينها إلى حدٍ ما، محافظة على كثير من إمكانياتها، تعيش في وضع سياسي شبه مستقر، ومستوى اقتصادي محترم لكنه دون المستوى المطلوب، ونهضة علمية لا بأس بها لكنها تبشر بالخير، ولكنها مع ذلك لا تحاول ولو محاولة، بالوسائل المشروعة والمتاحة لها، مساعدة الشعوب الإسلامية الأخرى والدفاع عنها لتتخلّص ممن يجثم عليها، وتعود لوضعها الطبيعي، بل على العكس من ذلك، تحارب مع المحاربين وتقف في مقدمة صفوف الأعداء وهذا مؤسف حقا .
- وهناك بعض الشعوب قد نجحت في اختيار قيادات منها قوية، استطاعت تخليصها بتوفيق الله ﷻ من بعض قيود الاستعمار السياسية والاقتصادية والعسكرية فحقّقت بعض النجاح في مجالات النهضة والتنمية وهي في طريقها لاستكمال التحرر والاستقلال مع أنها لا زالت في صراع مع النخب السياسية والفكرية والعسكرية المدعومة من قبل الأجانب لكنها سلكت معها[1] إحدى طريقتين مما يلي بما يناسب :

١. التأثير على هذه النخب المتغربة وضمها لصف من يعمل لصالح البلاد وأهلها
٢. أو كشفها وفضحها بالأدلة القاطعة ليعرفها الناس ثم محاسبتها بالعدل لتنال جزائها الذي تستحقه كما حدث في بعض البلدان الإسلامية والعربية وإن كان دون المستوى لكن الحال أفضل والسير نحو المستقبل مبشر .

---

[1] () أعني مع هذه النخب التابعة للغرب والمدعومة منهم

"الخطوة السابعة" تعريفهم بما يجب عليهم نحو الإسلام والمسلمين:

بعد أن يعرف المدعوون واقع أمة الإسلام اليوم في كل بقاع الدنيا فلا شك بأن روح الغيرة على الإسلام ستستيقظ في نفوسهم لذا لا بد من توجيه هذا الحماس وهذه الغيرة التوجيه الصحيح حتى لا يتحرك كل واحد بما تمليه عليه عواطفه وهذا ما سنحاول بسطه وإيضاحه في هذا الفصل بإذن الله تعالى . . . .

واجبنا نحو الدين:

قال العلماء ﷺ واجب كل إنسان مسلم نحو دينه هو القيام بهذه الأمور بقدر ما يستطيع:

١) **العلم به:** قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[١] وقال ﷺ: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم))[٢] ويتم العلم به عن طريق:

- حضور حلق الذكر ومجالس العلم في المساجد والمدارس أو في بيوت أهل العلم لطلب العلم اللازم .
- البحث عن دروس العلماء الربانيين المسجلة وسماعها في حال عدم وجود حلقات للعلم الشرعي في المنطقة التي يتواجد فيها .
- اقتناء مجموعة من الكتب الشرعية المختصرة مثلاً: في التفسير: "مختصر تفسير ابن كثير" والحديث: "جامع العلوم والحكم، ورياض الصالحين، وسبل السلام" والعقيدة: "الإيمان للأهدل، وشرح العقيدة الطحاوية" والفقه: "العبادات والمعاملات، ومنهاج المسلم، والفقه الميسر" والسيرة: "الرحيق المختوم" والتاريخ: "موسوعة التاريخ الإسلامي" يطالعونها ويتدارسونها بين الحين والحين

---

[١] [سورة العلق: ١]

[٢] صحيح الجامع وغيره

. ٢) **العمل به:** قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٢] والعمل به يشمل: "العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق" كما يلي:

العقيدة:

- توحيد الله ﷻ في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته .
- الابتعاد عن الشرك والكفر والنفاق بجميع الأنواع والأقسام .
- الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .
- تحقيق مبدأ الولاء لأولياء الله والبراء من أعداء الله ومحبة الخير لكل الناس .
- تعظيم شعائر الله ﷻ واحترام حرماته والحذر من استحلال تعدي حدوده.

العبادة:

- الحرص على الصلوات الخمس جماعة في المسجد إلا لعذر مع الاهتمام بالسنن الراتبة والنافلة التي لا يكتمل أجر الفريضة إلا بها .
- الاهتمام بالزكاة والواجبات المالية الأخرى كالنفقة على النفس والأهل بالمعروف مع الحرص على الصدقة وفعل الخير بقدر الاستطاعة .
- صيام شهر رمضان إيمانا واحتسابا مع صيام ما تيسر من النوافل خلال أيام السنة كالست من شوال ويوم عرفة ويوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر والاثنين والخميس وغيرها .
- الحرص على حج بيت الله الحرام ولو مرة واحدة للمستطيع لكن لا يعني هذا

---

[١] [سورة التوبة: ١٠٥]

[٢] سورة العصر

أن نتساهل ونتراخى بحجة عدم الاستطاعة والاهتمام بالعمرة كذلك .

- الحرص على ذكر الله تعالى وأفضله قراءة القرآن الكريم الذي ينبغي أن يكون له منه ورداً يومياً ليختم المصحف خلال الشهر أو الأربعين يوما إن استطاع.

المعاملات:

- معرفة الحلال من الحرام قبل القيام بأي عمل ديني أو دنيوي .
- الالتزام بالضوابط الشرعية عند القيام بأي عمل في الحياة العملية .
- عند القيام بأي عمل مشروع لا بدّ من إتقان العمل والقيام به في وقته المحدد وبالشروط المتفق عليها .

الأخلاق والآداب:

- الحرص على الالتزام التام ببر الوالدين والإحسان إليهما وصلة الأرحام وحسن الجوار بقدر الاستطاعة.
- رد السلام وبشاشة الوجه والكلمة الطيبة وكف الأذى وحسن التعامل مع كل الناس لتنتشر المحبة ويسود الإخاء.
- احترام أهل العلم والاستقامة وتقديرهم والحرص على الاستفادة من علمهم وسمتهم وأدبهم .
- احترام الكبار "كبار السن وكبار القدر" وإجلالهم والاستفادة من خبراتهم وتجاربهم والعطف على الصغار والرفق بهم ورحمة المساكين ومواساتهم بما أمكن مع التواضع لهم.
- التحلي بمكارم الأخلاق كالصدق والأمانة والشجاعة والكرم والحياء والعفة والوفاء والصبر وغير ذلك من الصفات النبيلة والأخلاق الحميدة والابتعاد عن ما يخالفها ويضادها من الصفات المذمومة والأخلاق السيئة.

٣) **الدعوة إليه:** قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١] وقال ﷺ: ((بلغوا عني ولو آية))[٢] والدعوة إلى الدين بالنسبة للمسلم العادي يمكن أن نلخصها في ما يلي:

- الالتزام بالإسلام مظهراً ومخبراً شكلاً ومضموناً في نفسه وأهله ومحاولة المحافظة على صبغ المجتمع كله بصبغة الإسلام والاعتزاز بذلك ونبذ أي قول أو فعل أو سمت يتعارض مع قيم ومبادئ وسلوكيات الإسلام .
- مناصرة وتشجيع كل ما فيه ومن فيه مصلحة وخدمة للإسلام والمسلمين في كل المجالات وعلى كافة المستويات .
- تقديم النصيحة الصادقة لمن طلبها أو عمل ما يوجبها محاولاً أن يختار الوقت المناسب والمكان المناسب والأسلوب المناسب بقدر ما يستطيع .
- الحرص على تعليم أفراد الأسرة ما يلزمهم من أمور دينهم ودنياهم وتربيتهم على المبادئ السليمة والقيم الصحيحة والأخلاق النبيلة .
- الدلالة على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المحيط الذي أنت فيه بقدر ما عندك من العلم وبالحكمة والموعظة الحسنة .

٤) **الصبر على ذلك:** قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٣]

---

[١] [سورة يوسف: ١٠٨]

[٢] رواه البخاري

[٣] البقرة – الآية ١٥٣

كيف حال الأمة الإسلامية وما هو الحل لإنقاذها ؟

لا يختلف اثنان في أن أمة الإسلام تعاني دينيا ودنيويا ولا خلاف أيضا بين أهل العلم والإيمان في أن الحل فقط في الالتزام بتعاليم الإسلام في كل جوانب الحياة لذا يقول الكل ويردد الجميع لا بد من رجوع جماعي صادق إلى الله ﷻ ليصلح الحال قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1] وقال ﷻ: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾[2]

لكن كيف نفعل لإعادة الأمة إلى التمسك بدينها والالتزام بتعاليمه؟ هناك إشكال فيما يتعلق بكيف يتم إرجاع المجتمع والأمة إلى الإسلام فكرا وسلوكا في هذا الزمان فهناك ما هو متفق عليه وهناك ما هو مختلف فيه:

- فمما لا خلاف فيه بين أهل العلم أن إصلاح المجتمعات لا بد أن يكون عن طريق البيان والبلاغ أولا ثم التربية والتعليم ثانيا .
- أما ما هم مختلفون فيه فالنضال الدستوري والمشاركة السياسية والجهاد، يعني هل من المشروع أولاً والمفيد ثانياً سلوك هذه السبيل حاليا .

ودوري هنا أنني سأحاول قدر الإمكان تلخيص رؤى الاتجاهات الإسلامية مع ما استندت إليه لإصلاح أوضاع الأمة الدينية والدنيوية فإلى ذلك في الصفحات التالية:

---

[1] [سورة الأعراف: ٩٦]

[2] [سورة الجن: ١٦]

أولاً ما اتفقت عليه الاتجاهات الإسلامية كلها:

❖ الأول البيان والبلاغ:

ويعني بيان أصول وأحكام ومبادئ الدين للناس عامة عبر الوسائل المتاحة "كالمحاضرات العامة في المساجد ـ وتأليف الرسائل والكتب ـ والكتابة في الصحف والمجلات ـ الزيارات الدعوية ـ البرامج الإذاعية والتلفزيونية ـ وغيرها"

- هذا الأمر "البلاغ والبيان" تقوم به كل الاتجاهات الإسلامية الفردية والجماعية لكن على تفاوت بينها فهذا يهتم بجانب وهذا يهتم بآخر وهذا يهتم بأكثر من جانب كل بطريقته وأسلوبه.
- والبيان والبلاغ لا اعتراض عليه حتى عند الاتجاهات العلمانية والشيوعية وغيرها ما لم يتعرض لأمور حساسة تهم أمر العامة كالسياسة والاقتصاد ونصح المسئولين وانتقاد ما يخالف الشرع من القوانين والعلاقات والممارسات.

مشروعية البيان والبلاغ

بيان وتبليغ أصول الدين وأحكامه أمر مشروع ورد الأمر به في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ وأجمع عليه العلماء من السلف والخلف وهو نوعان:

١. البيان والبلاغ العام: والمقصود به بيان أصول الدين وأحكامه لعامة الناس قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾[١] وقال ﷻ: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢] وقال ﷻ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

---

[١] [سورة آل عمران: ١٨٧]

[٢] [سورة الذاريات: ٥٥]

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] وقال ﷺ: ((بلغوا عني ولوا آية))[2] وغير ذلك من الأدلة الكثيرة في هذا الباب . .

٢. البيان والبلاغ الخاص: وأعني به بيان الحكم الشرعي وتقديم النصح للخاصة قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[3] وقال ﷺ: ((الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))[4] وقال ﷺ: ((إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد سلم ومن كره فقد برئ ولكن من رضي وتابع قالوا يا رسول الله ألا نقاتلهم قال لا ما صلوا))[5]

---

[1] [سورة التوبة: ٧١]

[2] رواه البخاري

[3] [سورة هود: ١١٧]

[4] رواه مسلم

[5] رواه مسلم

❖ الثاني التربية والتعليم:

فالتربية تعني: تنشئة الأفراد ورعايتهم وفق المنهج الإسلامي الصحيح.
والتعليم يعني: تعليم الأفراد ما يلزم من أصول ومبادئ وأحكام الدين ليعملوا على بصيرة ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم وهذا أمر مجمع على مشروعيته وجدواه عند كل الاتجاهات الإسلامية مع اختلاف بينها في أمور كـ: البعض يرى التنظيم والتجميع ويظهره في صورة تجمع واضح له قياداته العليا والدنيا والبعض لا يرى ذلك بالصورة ذاتها لكن الخلاف في الحقيقة شكلي لا وجود له في الواقع إذ الجميع على شكل مجموعات تمشي كل مجموعة على نظام معين ولها قيادة معينة.

مشروعية التربية والتعليم

لا خلاف بين العلماء من السلف والخلف على أن تعليم الناس أمور دينهم وتربيتهم عليها أمر مشروع حث عليه ربنا ﷻ في كتابه الكريم ونبينا ﷺ في سنته المطهرة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[1] وقوله ﷺ: ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين))[2]

---

[1] () التوبة (١٢٢)
[2] () البخاري

ثانياً ما اختلفت فيه الاتجاهات الإسلامية:

فكما أن كل الاتجاهات مجمعة على ضرورة البيان والبلاغ والتربية والتعليم لإصلاح حال الأمة مع الله فهم كذلك مختلفون في أمرين هما:

❖ الأول النضال الدستوري:

وهو خوض غمار الحياة العامة والمشاركة فيها لإصلاح الحكم كهدف عام وإصلاح كآفة المؤسسات التعليمية والاقتصادية والإعلامية وغيرها حتى تتوافق مع قيم ومبادئ الدين الحنيف أو على الأقل لدفع ما أمكن من ضررها والتقليل من شرها ومحاولة إيجاد البديل الإسلامي.

تمهيد لا بد منه

لا شك أن أعداء الدين همهم اليوم هو الفصل بين المسلمين ((الدعاة منهم خاصة)) وبين العمل السياسي تارة يقولون: ما لكم وللسياسة، وتارة يقولون: لا يجوز تسييس الدعوة والجهاد، وتارة يقولون: بأنهم ما دعوا إلى الله إلا لمآرب سياسية وأغراض دنيوية، يريدون بهذا صرفهم عن الاهتمام بشؤون المسلمين، وإعلاء كلمة الله في الأرض، ليخلو الجو لأعداء الله، فيعيثوا في الأرض فساداً كما يريدون، ويحكموا المسلمين بأي قانون ونظام يريدون، ويجعلوا كلمة الدين هي السفلى، وكلمة الكفر والباطل والشرك هي العليا، ويحولوا بين دعاة الإسلام وبين السعي لعز أمتهم، وكرامة دينهم وإبلاغ رسالة ربهم، وإخضاع الناس لحكم ربهم، وأمر خالقهم وبارئهم وقد يغتر الدعاة بهذه الأقاويل وقد يظنوا أن البعد عن السياسة الشرعية أحفظ لقلوبهم، وأخلص لربهم ودينهم، أو أن السياسة مشغلة عن الدعوة لله، ظانين أن الدعوة فقط هي تأليف رسالة، وإضافة كتاب إلى المكتبة الإسلامية، أو الانزواء في مسجد وزاوية، والإكثار من التعبد والزلفى، وبهذا يفسح المجال للأفاقين والكذابين واللصوص المتغلبة على أموال المسلمين ومقدراتهم، وتبقى الساحة السياسية

في بلاد المسلمين نهباً لجهلة العساكر، ومحبي الزعامة، والفرق الباطنية الخبيثة، وأعداء الأمة، فيمسكون زمام الأمور ويعيثون في الأرض ظلماً وفساداً، فيتخذون أرض الله دولاً، وعباد الله خولاً حيث ينتهكون الأعراض، ويستبيحون الأموال، ويقصون الإسلام عن واقع الناس، ويستبدلون بشريعة الله الظاهرة شرائع الكفر الباطلة، ودعاة الإسلام غفلى يعللون أنفسهم بالأماني، ويشتغلون بالنوافل، مضيعين للفرائض، ويفصلون بواقعهم بين الدين والحياة، والدين والحكم، والدين والعدل، والدين وإعلاء كلمة الله في الأرض، والدين والجهاد في سبيل الله، وبذلك يقرون أعين الكفار، وينفذون غافلين مخطط أعداء الدين، ويتركون قيادة الناس للمجرمين والمخربين والمفسدين، أليس هذا من أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر؟))[1]

خلاف العلماء والدعاة في موضوع المشاركة في الحياة السياسية:

دعونا نستعرض في السطور التالية ما يراه أهل العلم وقادة الجماعات بهذا الشأن

١) فهناك من يقول به ويمارسه وله أدلته الوجيهة التي استند عليها منها أنهم:

- يسعون لنصب الأكفاء لذا يشجعون ويدفعون من ينافس في تولي المناصب النقابية والحكومية ولا يرون في ذلك حرجا شرعيا بل يعتبرونه قياما بواجب شرعي لا بد منه وهو المشاركة في تنصيب الحكام والقادة على أساس العدالة والكفاءة ولا يرون في ذلك خروجا على الدولة أو منازعة لها لأن الدساتير والقوانين النافذة تسمح بهذا أيام الانتخابات بدون صراع عسكري والمخالف للحاكم حقيقة هو الذي لا يشارك.
- وهم كذلك يعتبرون النضال السلمي في نطاق المسموح به شرعا وقانونا من النصح لأئمة المسلمين وعامتهم خاصة في هذا الزمن الذي لا يمكن لأحد أن يعدل أي خطأ يصدر من الجهات الحكومية إلا عبر وسائل معاصرة مثل النقابات والمؤسسات المدنية أو عن

[1] (المسلمون والعمل السياسي ص ٦٢-٦٣).

طريق الأحزاب والتكتلات السياسية فمن خلال هذه المؤسسات يمكنهم: تشجيع وموافقة ما هو مقبول شرعا مفيد في الواقع ورفض ومعارضة ما يخالف الشرع ويضر بمصالح الناس وهذا خير من السكوت على الباطل وخير أيضا من أي خروج مسلح يؤدي إلى فتنة عمياء لا تبقي ولا تذر.

- هذا العمل يدخل ضمن التدافع الضروري ليبقى للحق والخير صوت مسموع أو على الأقل لإقامة الحجة لأننا إذا تركنا الدفاع عن الدين في (ميادين) السياسة والاقتصاد والثقافة والإعلام والتربية ولا يكون ذلك حاليا إلا عن طريق تشكيل النقابات والمؤسسات المعارضة لإقصاء الدين وأهله في شتى المجالات فإن هذا سيوصل إلى نتائج كارثية على الدين وأهله قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1]

قد يقول قائل لكنهم يعملون منذ زمن فماذا حققوا؟

إن المنصف يدرك أنهم حققوا الكثير وإن لم يصلوا إلى حسم المعركة وإنهاء الصراع لصالح الإسلام والمسلمين بسبب تخاذل البقية وتركهم هذا الميدان لحجج سنذكرها قريبا بإذن الله ومع ذلك فلهم إنجازات لا يستهان بها منها على الأقل:

- استطاعوا أن يلفتوا نظر الكثيرين إلى حقيقة ما جرى ويجري للإسلام والمسلمين من قبل أعداء الدين والأمة منذ ما قبل الاستعمار وحتى الآن من إقصاء الدين عن منصة الحكم العليا إلى أدنى المستويات في كل المجالات كما حصل في بعض بلدان المسلمين أو يراد إقصاؤه ويبذل في سبيل ذلك كل شيء كما في البعض الآخر عن طريق بعض أبناء جلدتنا

[1] [سورة الحج: ٤٠]

ممن صنع الخارج منهم بالمال والإعلام والقوة والمناصب نجوما وعظماء وقادة ليكونوا أصحاب النفوذ في بلادنا الإسلامية يديرونها لكن لهدم الدين وخدمة أعداء الأمة.

- ناهيك عن أنهم استطاعوا أن ينشروا الوعي بين المتدينين وغيرهم بأن الحكم لله وحده وأن القرآن الكريم منهج حياة ينبغي السير بناء على تعاليمه وتوجيهاته في كل شئون الحياة التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وهكذا تحول الوعي إلى قناعة ومن ثم إلى سلوك في الواقع ينشر الدين ويبشر به في كل مجال ومكان.
- ثم إنهم أيضا أوجدوا البديل الإسلامي أو على الأقل الأخف ضررا والأدنى خطرا في شتى المجالات السياسية والإعلامية والتربوية والاقتصادية من باب ما لا يدرك كله لا يترك جله كما قال المولى ﷻ: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾
- والأهم من ذلك كله أنه وبعد أن كان التوجيه زمنا بيد العلمانيين والشيوعيين إلا أن الإسلاميين اليوم وصلوا بفضل الله تعالى إلى مستوى الإمساك بقدر لا بأس به من زمام التوجيه والقيادة للمجتمع المسلم والمجتمع يحبهم وينقاد لهم لأنهم يمثلون فعلا فطرة الشعوب النقية التي تحب الإسلام عقيدة وشريعة وتتمنى أن تطبق أحكامه في كل المجالات لولا التلبيس والتغرير لذا تجد أن الإسلاميين في كل البلدان إذا أتيحت لهم فرصة هم من يتصدر المشهد بإقبال الأمة عليهم وتزكيتها لهم لاعتقادها أنهم يمثلون إرادتها الصحيحة ويلبون طموحها الحقيقي. . .

تأمل معي إن شئت في ما يلي:

- كيف يقبل أبناء المجتمع على المدارس الخاصة التي يقوم عليها بعض الدعاة والصالحين لما يتوقعونه منها من انضباط والتزام.
- وكيف ينظم الشباب إلى النوادي الثقافية والرياضية والجمعيات الخيرية والمؤسسات التعاونية التي يشرف عليها ويديرها أهل التدين والاستقامة مع أنها تكليف لا تشريف

ولا يكسب الشباب من وراء العمل معها ربحا ماديا .

- وكيف يفوز مرشحو الحركات الإسلامية في كل الاتحادات والنقابات والهيئات إذا أتيحت لهم الفرصة وسمح لهم بالمشاركة وكانت الانتخابات نزيهة وشفافة .
- وكيف أن المؤسسات الاقتصادية الإسلامية تنموا سريعا لازدياد الإقبال عليها ولكثرة من يثق فيها ويطمئن لاستثمار أمواله من خلالها .
- ثم انظر إلى مستوى إقبال الجمهور على المستشفيات والهيئات وحتى المحلات التجارية التابعة للملتزمين لثقتهم فيهم ولجودة عملهم كل هذا يحدث كما هو مشاهد لكل ذي عينين رغم المضايقة السياسية والاقتصادية والحرب الإعلامية الشرسة التي تشوه كل ما هو إسلامي ورغم قلة ذات اليد عند الإسلاميين لأنهم أفراد وجهودهم مجتمعية بحتة تعتمد غالبا على التعاون والكفاح فيما خصومهم يستخدمون مال الأمة ومؤسسات الدولة التابعة للأمة ويسخرونها لحرب الصالحين أفرادا ومؤسسات منذ ما يقارب المائة السنة في أغلب بلدان العالم أفلا ينبغي احترام هذه الإنجازات والاعتراف بها وعدم التقليل من شأنها ؟ على الأقل من باب الإنصاف استجابة لأمر الله تعالى القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1]

٢) وهناك من لا يقول به ولا يشجع على ممارسته لعدم سلامته وجدواه:

- فهم يعتبرون المشاركة في المعارضة منازعة لأولي الأمر وتحريض للخروج عليهم، وهذا الكلام لا ينطبق على المعارضة لأن الحاكم نصب على هذا الأساس فهو حاكم لفترة محددة لذا لا يعتبر حاكما ساعة الانتخاب هكذا القانون ولا يعتبر المنافس له خارجا

[1] [سورة المائدة : ٨]

على الدولة أو مخالفا نظامها هذا في حال اعترفنا به حاكما لأن أصحاب هذا التوجه لا يقولون بمشروعية الانتخابات أصلا وفي هذه الحال يكون الحاكم غير شرعي فنحن إذا قلنا بهذا القول بين خيارين كلاهما مخالفة شرعية صريحة:

- الأول عدم المشاركة تعني عدم البيعة لولي الأمر ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية.
- الثاني المشاركة تعني القبول بالديمقراطية والحزبية والديمقراطية عند أصحاب هذا التوجه نظام حكم غربي كافر بكل الأحوال لأنها تعني حكم الشعب نفسه بنفسه والحكم في الشرع لله وحده والحزبية تفرق وتمزق . . . ويرد عليهم في هذا بأن المشاركة لا تعني بالضرورة القبول بكل ما في الديمقراطية إنما تعني عند من يشارك فيها من الإسلاميين ((الحرية في اختيار الحاكم)) والدخول ضروري لمعرفة ما يجري في دهاليز السياسة ولإيصال صوت الحق والخير على الأقل . . . أما الحزبية: فلا شك أن الأخيار يمثلون حزب الله ويجب أن يتعاونوا على الخير والأشرار يمثلون حزب الشيطان وهم يتعاونون حتى وإن لم توجد هذه الأحزاب والمسميات **والحرام هو أن: ((ينقسم الصالحون ويتفرقوا ويحاربوا بعضهم البعض))**.

- وبعض العلماء يرى أن المشاركة في السياسة من بعض الأفراد طلب للإمارة وطلب الإمارة ندامة يوم القيامة كما ورد في الحديث . . . ويرد عليهم بأن أهل الحل والعقد هم من يدفع بعض الناس لترشيح نفسه وليس هو من يطلب الإمارة ويحرص عليها .
- ومن العلماء من يرى أن المشاركة بحد ذاتها مباحة لكن الواقع يؤكد أنها غير مجدية إضافة إلى أن لها أضرارا على الأفراد المتصدين لها . . . ويرد عليهم بأن الواجب علينا أن نبذل ما بوسعنا حتى ولو كان غير نافع في نظرنا لأنه ما على الرسول إلا البلاغ المبين ومعذرة إلى الله ولعلّهم يحذرون .

❖ الثاني الجهاد والكفاح المسلح:

وهذا هو الأمر الثاني الذي فيه خلاف شديد حيث:

- الذي عليه العلماء والدعاة المعتبرون في هذا الزمان أنه لا يجوز الخروج على الحكام لإسقاط أنظمتهم بالقوة لما في الخروج المسلح من الفتن والمصائب التي تضر بالإسلام والمسلمين وكذا لا يصح تشكيل جماعات مسلحة بحجة مجاهدة الكفار لأن الجهاد في الإسلام إما للطلب وإما للدفاع فجهاد الطلب لا يشرع إلا مع الإمام (الحاكم) الذي بايعه أهل العقد والحل في كل بلاد الإسلام أو أكثرها وهذا ليس موجودا الآن وحتى لو أخذنا بقول من قال بمشروعية جهاد الطلب مع الحاكم الفعلي لأي بلد فإنه لا يوجد حتى الآن حاكم فعلي يقود جهادا من هذا النوع إذا فكل قتال الآن إنما هو: فتنة عمياء تريق دماء المسلمين وتخرب بلادهم دون أن تحقق أي مصلحة تذكر للإسلام أو المسلمين اللهم إلا الجهاد لدفع عدوان المستعمر أو المعتدي فإنه مشروع لمن يستطيعه في كل زمان ومكان بإجماع العلماء .
- أما الجهاديون فيقولون البيان والبلاغ كلام والكلام وحده لا يكفي والتربية والتعليم على أساس الدين لا تتم في ظل سيطرة أذناب الاستعمار على كل مفاصل الحياة والحل الوحيد في نظرهم هو الجهاد المسلح لمحاربة اليهود والنصارى ومصالحهم ولإسقاط أنظمة الحكم الحالية للتخلص من كل آثار الاستعمار ثم توحيد الأمة في إطار دولة إسلامية واحدة.

والصواب هو: القول الأول الذي يكاد يكون إجماعا لا يجوز مخالفته والخروج عنه بحال.

والخلاصة أن الحل لإرجاع الأمة إلى ما كانت عليه من العزة والكرامة كما أسلفنا هو:

١. البيان والبلاغ ٢. والتربية والتعليم ٣. والنضال السياسي في إطار ما هو ممكن شرعا وقانونا في كل بلد ليحصل التغيير المنشود بإذن الله ﷻ القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾[1] فإن حصل المراد واستعادت الأمة عافيتها فهذا هو المطلوب، وإن حدث الفشل نتيجة القصور وعدم استكمال الأسباب، فعلى الأقل نكون "كمسلمين عاملين" قد قمنا بالواجب تجاه الأمة ودينها ومصالحها بقدر ما نستطيع معذرة إلى الله ﷻ مع الثقة التامة بأن النجاح قادم بإذن الله.

مما يحسب للإسلاميين أفرادا وجماعات:

- حافظوا على عقيدة ومبادئ وقيم الأمة وذلك بإعدادهم جيلا من الشباب يتسلحون بالعلم والعمل والحركة لهذا الدين العظيم.
- عملوا دعاية للإسلام ونشروا مفاهيمه وتعاليمه بين الناس في كل مكان.
- أعادوا كثيرا من أبناء هذه الأمة وخاصة النشء والشباب إلى الإقبال على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حفظا ودراسة وفهما وتطبيقا.
- حاولوا جاهدين ولا زالوا إحياء السنن المهجورة وإماتة البدع المنشورة بكل الطرق والوسائل المشروعة.
- أيقظوا في الأمة روح التعاون على الخير والفضيلة والاهتمام بقضايا المسلمين في كل أنحاء العالم.

---

[1] () الرعد – الآية ١١

ومما يؤخذ عليهم جميعا:

- ضعف الرجوع إلى علماء الأمة الربانيين واتخاذ بعض القرارات بناء على اجتهاد بعض طلاب العلم من أساتذة الجامعات وقادة الجماعات ممن لم تتوفر فيهم بعض شروط الإفتاء فكيف بالاجتهاد.
- الاختلاف السيء الذي يؤدي إلى التفرق والتنازع وطعن بعضهم في بعض بدلا من التعاون والتكامل.
- غلبة روح التنافس بينهم جعلهم يهتمون بالكثرة ويهملون الجودة لذا ترى الشباب غالبا كما بلا كيف في كل جوانب العمل للدين علما وعملا ودعوة.

وأخيرا أقول للقارئ الكريم:

أعتقد بإذن الله جازما بأنك إذا سرت مع مدعويك ومريديك مخلصا لله وفق ما تقدم من الخطوات المستقاة من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ ستكون موفقا إما:

- بصلاحهم صلاحا تقر به عينك في الدنيا والآخرة
- وإما بالأجر الجزيل لأنك أحسنت وقمت بالبلاغ الذي عليك والله لا يضيع أجر من أحسن عملا
- وإما بالأمرين معا صلاح المدعوين ونيل أجر المحسنين وهذا منتهى ما يتمناه كل داع يدعو إلى الله ﷻ نسأل الله الهداية والصلاح لكل العالمين.

وصايا جامعة نختتم بها الكتاب

- ✓ جدد إيمانك بالله تعالى بالتأمل والتدبر في الكون والقراءة الواعية في الوحي ليتجدد اليقين بأن الله هو الخالق والمدبر والمحيي والمميت والضار والنافع والمقدم والمؤخر والمعز والمذل وبيده مقاليد السماوات والأرض وعنده خزائن كل شيء .
- ✓ لا تصرف شيئا من عبادتك لغير الله فلا تخف إلا من الله ولا تخش سواه ولا ترجو إلا إياه فاسجد له واقترب منه وتوكل عليه وراقبه في أعمالك وأخلص له العبادة وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وأحبه وتعلق به فلا يحب لذاته إلا هو جل في علاه.
- ✓ اعتقد جازما أن الله تعالى يتصف بكل صفات الجمال والجلال والكمال وأثبت لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تعطيل ولا تشبيه ولا تأويل.
- ✓ اعلم يقينا أنه لا يعتبر الإنسان مؤمنا حتى يؤمن بالغيب كما أخبر القرآن الكريم والسنة المطهرة فلا بد إذا من الإيمان الجازم بالله وملائكته وكتبه كلها ورسله جميعا واليوم الآخر وما فيه والقضاء والقدر خيره وشره.
- ✓ لا يكتمل إيمان العبد حتى يكون حبه لله وبغضه لله وعطاؤه لله ومنعه لله لذا تجد المؤمن يوالي أولياء الله ويعادي أعداءه ويحب ما يحبه ويكره ما يسخطه ﷻ.
- ✓ حافظ على الصلوات الخمس جماعة في المسجد مع الحرص الشديد على الرواتب والأوراد المتعلقة بها وإياك أن تفرط في الوتر وليكن لك نصيب من قيام الليل.
- ✓ ازهد في الدنيا يحبك الله وذلك بأن لا تكون أكبر الهم ومبلغ العلم وغاية الرغبة وأن يكون العمل فيها طلبا لفضل الله واستغناء عن الناس متحريا الحلال الطيب مبتعدا عن الحرام الخبيث.

- ✓ قم بعملك الدنيوي على أكمل وجه متحريا الإتقان والعمل حسب الاتفاق مع التوسط والاعتدال فلا تتكاسل وتقصر ولا تجهد نفسك وتحملها ما لا تطيق واحذر أن تلهيك الدنيا أو تشغلك عن ذكر الله وطاعته.
- ✓ ارض بما قسم الله لك من الرزق وقابل الضيق بالصبر والسعة بالشكر مؤديا حق الله وحق خلقه في مالك تؤدي الزكاة إن بلغ مالك النصاب وحال عليه الحول وتحج البيت الحرام إن استطعت إلى ذلك سبيلا وتجاهد بمالك في سبيل نشر الدين وإعلاء كلمة الله وتنفق على نفسك وعيالك بالمعروف وتصل رحمك وتتعاهد جيرانك بما تستطيع مبتعدا عن المن والأذى.
- ✓ ارتبط بالقرآن الكريم ارتباطا وثيقا فهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم لذا عش مع القرآن تتلوه وتحفظه تتدبره وتفهمه تؤمن بمحكمه ومتشابهه وتعمل بما فيه تحل حلاله وتحرم حرامه وتعلمه للخلق وتدعوهم إليه.
- ✓ أكثر من ذكر الله تعالى سواء بالأذكار المقيدة بوقت أو مكان وعدد معين أو الأذكار المطلقة فإن الذاكرين يذكرهم الرحمن ويشرح صدورهم وييسر أمورهم.
- ✓ كن شديد الحرص على وقتك فلا تصرف جزءا منه إلا في ذكر لله تعالى أو علم نافع أو عمل صالح أو دعوة إلى الخير أو استراحة مباحة تعين على السير إلى الله تعالى بنشاط واعلم أنك محاسب وستسأل عن عمرك فيما أفنيته وشبابك فيما أبليته وسيكون التحسر على الوقت عظيما إن لم نستغله ونستفد منه.
- ✓ أحسن إلى الناس بالحرص على هدايتهم وإرشاد ضالهم وتعليم جاهلهم وتنبيه غافلهم برفق ولين وكذا بتقديم العون الحسي والمعنوي المستطاع لهم فانصر مظلوما وأغث ملهوفا وأعط محروما وصل مقطوعا وارفق بالخلق وانشر الحب والسلام وقابلهم بالبشاشة والبشر وإياك أن تؤذي أحدا وإن آذاك لذا صل من قطعك وأحسن إلى من أساء إليك وأعط من حرمك فهذا قمة الخلق الكريم.

- ✓ كل واشرب والبس ما يكفيك ويسد حاجتك من الحلال الطيب من غير ما إسراف وتبذير أو بخل وتقتير.
- ✓ هاك سلاحا يعينك بإذن الله تعالى على العيش في هذه الحياة بسلام سلاح "الصبر والصلاة" فاصبر على ما أصابك وكن دائم التعلق بالله تدعوه وتسأله.
- ✓ احذر الإكثار من فضول المباحات (النظر ـ الكلام ـ الأكل ـ النوم –المخالطة) فإنها باب لقسوة القلب وتدرج نحو المكروهات ثم المحرمات بدون شعور.
- ✓ اعلم أن من أكبر وأبرز علامات الصلاح انشراح الصدر وراحة القلب لبيوت الله وكلام الله وسنة رسوله ﷺ وكذا للصالحين من عباد الله ومن أبرز علامات الفساد انشراح الصدر وراحة القلب للأماكن والمجالس التي لا يذكر فيها الله ﷻ ومع الأشخاص الذين لا يذكرون الله إلا قليلا لذا لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي فالمرء على دين خليله والصاحب ساحب والطباع سراقة.
- ✓ تعرض لنفحات الله واستغل مواسم الطاعة ونافس في الخير وإياك والتسويف والتأجيل فإنه دليل الحرمان والخذلان.
- ✓ لا تبتعد عن مجالس الخير وحلق الذكر وزيارة أهل العلم والصلاح والجلوس بين أيديهم والتعلم منهم فإن الابتعاد عن هؤلاء يصعب الطريق مما قد يؤدي إلى التوقف أو التراجع والانحراف ولو بعد حين.
- ✓ نم ثقافتك العامة بالمطالعة المنتظمة والعشوائية للكتب المفيدة ومتابعة المفيد النافع من البرامج والمجلات والصحف والمواقع.
- ✓ اعتن بجسمك بالغذاء الصحي المتوازن والعمل والحركة والرياضة المفيدة والنظافة والطيب والنوم المبكر والابتعاد عما يضر من المأكولات والمشروبات والكشف الصحي الدوري للوقاية من أي مرض فالوقاية خير من العلاج.
- ✓ اهتم بالشأن العام وخصص وقتا لمتابعة الأخبار اليومية وكن مواطنا صالحا يشارك في

البناء بتطوير نفسه وخدمة بلده وأمته متعاونا مع الناس في سبيل ذلك محاربا من يسعى لهدم أو خراب قيم ومبادئ ومصالح الخلق بما أمكنك في مجال تخصصك وميدان عملك.

- ✓ للثبات على الاستقامة لا بد من ثلاث: - ((تجديد التوبة . ودوام المراقبة . ولزوم المحاسبة)).
- ✓ وأخيرا نختم بوصية الإمام البنا رحمه الله كن: . سليم العقيدة . صحيح العبادة . متين الخلق . مثقف الفكر ـ قوي الجسم . مجاهدا لنفسه . حريصا على وقته . قادرا على الكسب . نافعا لغيره . منظما في شئونه.

جدول المحتويات

المقـدمـة ٥
تـــهيد عن الاستقامة ٨
من آيات القرآن الكريم ٨
من أحاديث السنة المطهرة ١١
ما هي الاستقامة ١٣
حقيقة الاستقامة ١٤
ما تتحقق به الاستقامة ١٥
مما يعين على الاستقامة ١٦
ثمرة الاستقامة ١٧
المبحث الأول: ١٨
أصل البشرية ١٩
المواليد على الفطرة ١٩
أسباب الانحراف ٢٢
أنواع ودرجات الانحراف ٢٦
أولاً: الانحراف الكلي ((الكفر والشرك الأكبر والنفاق العقدي)) ٢٧
أمور من وقع فيها كان انحرافه كفرا ٢٨

ثانياً: الانحراف الغالب ((الفسوق)) ٣١
أمور من وقع فيها كان انحرافه فسوقا[٢] ٣٢
ثالثاً: الانحراف الجزئي ((العصيان)) ٣٣
أمور من وقع فيها كان انحرافه عصيانا ٣٤
مكفرات الذنوب ٣٥
ملاحظات لا بد منها في التكفير والتفسيق ٣٦
لهداية الناس وردهم إلى الحق يرسل الله الرسل ويبعث النذر ٤٢
فأما المباشرة فهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم: ٤٣
إلام يدعوا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؟ ٤٤
محمد رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ٤٦
من يبلغ الدين ويدعو إلى الحق بعد انقطاع الوحي وموت الرسول ﷺ ٤٧
هل يعتبر الأحبار والرهبان اليوم من أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟ ٤٨
الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وورثتهم كيف يردون المنحرفين؟ ٤٩
وأما الرسل والنذر غير المباشرة فمنها: ٥١
ماذا تريد الرسل والنذر المباشرة وغير المباشرة؟ ٥٤
موقف الناس من الرسل والنذر ٥٦
فأما الذين رفضوا الاستجابة لصوت الحق وأعرضوا عنه: ٥٧

مراحل الإعراض: ٥٨
أسباب الإعراض: ٦٠
خلاصة حال المعرضين ٦٣
وأما الذين قبلوا الحق وأقبلوا عليه: ٦٤
أسباب ومراحل القبول: ٦٥
خلاصة حال المستجيبين: ٦٨
المعرضون عن الله لا يستوون هم والمؤمنون أبدا ٦٩
حال المستجيبين لداعي الله تعالى في الدنيا والآخرة ٧٠
حال المعرضين عن الله ﷻ في الدنيا والآخرة ٧٥
المبحث الثاني: ٧٩
الاستقامة خطوة خطوة ٧٩
الخطوة الأولى: التأثر عند سماع موعظة أو مشاهدة عبرة أو حصول موقف ٨١
الخطوة الثانية: القراءة والتأمل بحثا عن الحقيقة ٨٢
الخطوة الثالثة: معرفة الطريق واتجاه المسير ٨٨
الخطوة الرابعة: الإيمان والتسليم ٨٩
الخطوة الخامسة: العزم على الاستقامة مع الاستعانة بالله ﷻ ٩٢
الخطوة السادسة: الصبر والهجر الجميل ٩٧

الخطوة السابعة: الالتحاق بالصالحين ١٠١
الخطوة الثامنة: طلب العلم الواجب ١٠٣
الخطوة التاسعة: عمل الصالحات وترك المنكرات ١٠٧
مراحل الاستقامة: ١٠٨
مراتب الاستقامة: ١٠٩
علامات قبول التوبة وصحة الاستقامة ١١١
مشكلات في طريق الاستقامة ١١٣
مشكلة الغلو والتطرف: ١١٣
مشكلة منع الأهل من الالتحاق بالصالحين: ١١٧
مشكلة المناسبات الخاصة والعامة: ١٢١
مشكلة النشاط والفترة في الاستقامة: ١٢٤
مشكلة الذنوب المتكررة: ١٢٧
مشكلة كيفية التعامل مع الدنيا: ١٣١
المبحث الثالث: ١٣٤
الدعوة إلى الله خطوة خطوة ١٣٤
"الخطوة الأولى" المعرفة والاختيار: ١٣٧
أولاً المعرفة: ١٣٧

ثانياً الاختيار: ١٣٩
"الخطوة الثانية" الحديث عن الانحراف ثم الأخذ بأيدي المدعوين: ١٤٢
أولاً الحديث عن الانحراف وأنواعه: ١٤٢
ثانياً الأخذ بأيديهم ومساعدتهم لأجل التوبة وإصلاح الحال: ١٤٩
"الخطوة الثالثة" الحديث عن أصول الدين وأركان الإيمان: ١٥٢
أولاً أصول الدين العقدية (أركان الإيمان): ١٥٢
ثانياً أصول الدين العملية (أركان الإسلام): ١٥٥
"الخطوة الرابعة" تعليمهم اللازم من أحكام الدين: ١٥٩
أولاً أن يبين لهم ما العلم الذي يجب على كل مسلم تعلمه؟ ١٥٩
ثانياً أن يعرفهم كيفية طلب العلم ١٦٠
ثالثاً أن يعرف حدوده في هذا المجال ١٦٠
"الخطوة الخامسة" تعريفهم بموجز لسيرة الرسول ﷺ وتاريخ أمة الإسلام: ١٦١
أحداث حياة النبي ﷺ من البعثة إلى الوفاة وهي ثلاث وعشرون سنة: ١٦١
عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم: ١٦٥

فترة الملك الوراثي من العهد الأموي حتى سقوط العثمانيين: ١٦٧

"الخطوة السادسة" إطلاعهم على أحوال المسلمين في هذا الزمان: ١٧١

سقوط الدولة العثمانية وما بعدها ١٧١

فترة ما بعد الاستقلال حتى الآن: ١٧٣

القوى الكبرى المهيمنة عالمياً وأهدافها ١٧٤

شروط القوى الكبرى التي يجب توافرها فيمن يتولى الحكم عندنا: ١٧٥

العالم الإسلامي اليوم: ١٧٩

أوضاع العالم الإسلامي السياسية والاقتصادية:() ١٨٠

أوضاع العالم الإسلامي الدينية:() ١٨٣

وأما الجانب الأخلاقي: ١٨٦

أين دور الشعوب في العالم الإسلامي؟ ١٨٧

المستقبل القريب يبشر بالخير ١٨٨

"الخطوة السابعة" تعريفهم بما يجب عليهم نحو الإسلام والمسلمين: ١٨٩

واجبنا نحو الدين: ١٨٩

كيف حال الأمة الإسلامية وما هو الحل لإنقاذها ؟ ١٩٣

أولاً ما اتفقت عليه الاتجاهات الإسلامية كلها: ١٩٤

ثانياً ما اختلفت فيه الاتجاهات الإسلامية: ١٩٧

وصايا جامعة نختتم بها الكتاب ٢٠٦

المؤلف في سطور:

- من مواليد (يوم الجمعة) ـ (١٠ محرم) ـ (سنة ١٤٠٥ هـ) ـ (اليمن) .
- درس الدراسة النظامية من الصف الثاني الابتدائي وحتى الثاني الثانوي بالمعاهد
- يحفظ القرآن الكريم وكتب الحديث الستة وعددا من المتون العلمية في العقيدة والتجويد والحديث والمصطلح والفقه وأصوله والمواريث والنحو والصرف وغيرها
- درس العلم الشرعي وحفظ القرءان الكريم وبعض المتون العلمية على يد عدد من العلماء في مساجد مدينة صنعاء .
- حاصل على بكالوريوس تربية قسم القرآن الكريم وعلومه من جامعة صنعاء .
- أجيز في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بالسند المتصل العالي وقرأ أصول القراءات السبع .
- درس بمسجد الزبيري عدة سنوات عند القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني وأجازه في التدريس والفتوى .
- عمل مدرسا بمدارس التحفيظ والحلقات المسجدية وكان له حلقة علمية بمسجده
- خطيب جامع أحمد ياسين بمدينة عمران لعدة سنوات .